

الاستشراق

فى

ميزان نقد الفكر الإسلامى

دكتور أحمد عبد الرحيم السايح



الدار المصرية اللبنانية



الاستشراق

في

ميزان نقد الفكر الإسلامي

الناشر : الدار المصرية اللبنانية
١٦ ش عبد الخالق ثروت - القاهرة
تليفون : ٣٩٢٣٥٢٥ - ٣٩٣٦٧٤٣
فاكس : ٣٩٠٩٦١٨ - برقياً : دار شادو
ص . ب : ٢٠٢٢ - القاهرة
رقم الإيداع : ١٩٩٦ / ٧٠٣٥
التقييم الدولي : 2 - 276 - 270 - 977 .
طبع : آسون
العنوان : ٤ فيروز - متفرع من إسماعيل أباطة
تليفون : ٣٥٤٤٣٥٦ - ٣٥٤٤٥١٧
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة
الطبعة الأولى : ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

الاستشراق

في

ميزان نقد الفكر الإسلامي

دكتور أحمد عبد الرحيم السايح

دار النشر: دار البناية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الرسول محمد الصادق الأمين. وعلى آله وصحبه.

أما بعد . . .

فإن الاستشراق أصبح علما له مدارسه المتعددة، ومناهجه المختلفة، والتي تسعى جميعها إلى محاولة اختراق الفكر الإسلامي.

والاستشراق منذ نشأته وضع نفسه في خدمة الأهداف المشبوهة والتي تعمل لإذابة المسلمين وانسلاخهم عن شخصيتهم الإسلامية، وما فتئت مدارس الاستشراق تُعد التقارير والدراسات لكل ما هو إسلامي، ويتصل بالمسلمين، وتضع كل ذلك أمام المعاهد الصليبية والصهيونية؛ ليكون القرار السياسى الذى يتخذ حيال القضايا الإسلامية قائما على ما جاء بها.

والأمة الإسلامية تتعرض لحمولات مسعورة، وتكالب رهيب من قبل الصليبية والصهيونية، كما تتعرض لمخطط يعمل على إقصاء الفكر

الإسلامى والإجهاز على مقومات الأمة حتى لا تقوم لها قائمة .

وليس من الكياسة أن نظل نتفرج على الهزائم المتوالية التى هزت بعض مجتمعاتنا، وليس من الكياسة كذلك أن نظل أتباعا لغيرنا، ظانين أن ذلك يحفظنا ويحافظ علينا .

إن الكياسة الحقيقية أن ندرك الأخطار التى تحدى بالمجتمعات الإسلامية، فنحاول جاهدين أن نواجهها ببناء شخصيتنا الإسلامية، والعمل على توحيد صفوف الأمة .

إننا نحتاج إلى مواجهة حازمة لما اعترانا من تفكك وضعف، ولما أصابنا من خلل قتل فينا الإحساس بالاستقلال، والاعتزاز بالقيم التى جاء بها الإسلام . .

والبداية الضرورية لنهضتنا من كبوتنا، أن نواجه الفكر الاستشراقى، وليست المواجهة بالخطب الرنانة، والكلام الذى ينتهى بانتهاى قوله، إنما المواجهة الصحيحة: أن تكون عملا مدروسا قائما على منهجية دقيقة تضع علماء الأمة الإسلامية أمام مسئولياتهم .

والكتابة عن الاستشراق والمستشرقين لازالت قليلة فى عالم الأمة الإسلامية، وكلما كثرت الكتابة من العلماء فى الاستشراق كلما ازداد وعى المسلمين بضرورة مواجهة الفكر الاستشراقى الذى ألبس الحق بالباطل، وحاد عن الموضوعية، وشروط البحث العلمى . .

وهذه الدراسة التي أقدمها للفكر الإسلامى هى محاولة جادة،
ومساهمة فى بيان الطريق الذى يمكن أن نسلكه ونحن نواجه التيار
الاستشراقى الذى ملأ الدنيا بكتبه ومؤلفاته ومجلاته . .

وإن الأمة الإسلامية - وهى تتطلع إلى غد مشرق - جدير بها أن تعمل
على بناء شخصيتها المتميزة، وتجعل غيرها فى موقف الدفاع بما تعمله من
حركتها الفكرية، وحسن تحركها.

د. أحمد عبد الرحيم السايح

الاستشراق

أصبح موضوع الاستشراق والمستشرقين من المواضيع التي تشد انتباه علماء الإسلام، لما رأوا أن دراسات المستشرقين للإسلام لا تخلو عن نوع من التدسيس والتحريف، بحسب ما يقومون به من تحقيق علمي، أو اكتشاف تاريخي، ذلك أن العمل الاستشراقي لم يقم على النوايا المخلصة الطيبة، ولكن أصبح مزيجاً من الحق والباطل^(١)، ومن هنا صار حقا على الباحث والدارس أن يعنى بتحديد مفهوم الاستشراق^(٢) والوقوف على معالمه البارزة، وآفاقه، ومظاهره، وأهدافه، ليتبين الطريق، ويتبصر الأمر، ويتعرف على المعالم، والحقائق، فيكون على بينة من أمر يمس في حياته، ويهمله أن يكون على وعى له ومنه.

والواضح أن كلمة «الاستشراق» مشتقة من مادة «شرق»، يقال:

(١) انظر سعيد الأعظمي: الإسلام والمستشرقون لماذا؟ ص ٧ من كتاب الإسلام والمستشرقون ط.

عالم المعرفة ط ١٤٠٥/٥ هـ.

(٢) انظر الدكتور أحمد سمايلوفتش: فلسفة الاستشراق ص ٢١.

شرقت الشمس شرقا وشروقا: إذا طلعت^(١). وما يسترعى الانتباه أن كلمة الاستشراق، والتي نبحت عن مفهومها اللغوي، لم ترد في المعاجم العربية المختلفة^(٢)، وليس معنى عدم ورودها في المعاجم اللغوية منع الباحث من الوصول إلى المعنى الحقيقي استنادا إلى قواعد الصرف، وعلم الاشتقاق، حيث يبدو أن معنى استشراق: أدخل نفسه في أهل الشرق وصار منهم^(٣).

وبعض المصادر اللغوية الحديثة تقول: استشراق: طلب علوم الشرق، ولغاتهم «مولدة عصرية» يقال لمن يعنى بذلك من علماء الفرنجة^(٤).
«والمستشرق: هو عالم متمكن من المعارف الخاصة بالشرق ولغاته وآدابه»^(٥).

أما لدى علماء الغرب فيتساءل «أربري» نفسه: ما هو الاستشراق؟ وما كنه المستشرق؟ ومن الجلى أن الكاتب حين يعرض لمثل هذا الموضوع

(١) مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط ج ١ ص ٤٨ ط القاهرة ١٩٦٠.

(٢) ابن منظور: لسان العرب ج ١ ص ١٧٣، الفيروزآبادي: القاموس المحيط ج ٣ ص ٢٤٨،

الأزهري: تهذيب اللغة ج ٨ ص ٣٢٦، الجوهري: الصحاح ج ٢ ص ١٥٠٠، والشرنوبى:

أقرب الموارد ج ١ ص ٥٨٦ وغير ذلك.

(٣) الدكتور أحمد سمايلوفتش: فلسفة الاستشراق ص ٢٢.

(٤) الشيخ أحمد رضا: معجم متن اللغة ج ٣ ص ٣١١ ط بيروت دار مكتبة الحياة ١٩٥٨.

(٥) انظر الدكتور أحمد سمايلوفتش: فلسفة الاستشراق ص ٢٢.

الواسع الذى لا يزال مجهولا بين الجماهير، يحسن أن يحاول الوصول إلى اتفاق بينه وبين قارئيه، حتى يتعرفوا موقفهم صحيحا، ومما يزيد من ضرورة هذا التفاهم أن الاستشراق - ومثله فى ذلك كثير من فروع العلم الأخرى - قد تخطى حدوده إلى ميادين تنتمى فى حقيقتها إلى علوم أخرى مستقلة عنه، وإن كانت مجانسة له، حيث إن المستشرق يشارك فى عمله عالم الآثار، والحفريات، والمؤرخ، وعالم الصرف، والاشتقاق، وعالم الأصوات، والفيلسوف، وعالم اللاهوت، والموسيقى، والفنان^(١).

أما قاموس أكسفورد الجديد فيحدد المستشرق بأنه: «من تبحر فى لغات الشرق وآدابه»^(٢) ويقول بارت: «الاستشراق علم يختص بفقهِ اللغة خاصة»^(٣) ويعرف جويدى علم الاستشراق والمستشرق فيقول: «والوسيلة لدرس كيفية النفوذ المتبادل بين الشرق والغرب إنما هو علم الشرق، ومن الممكن أن نقول: إنه بناء على الارتباط المتين بين التمدن الغربى، والتمدن الشرقى ليس علم الشرق إلا بابا من أبواب تاريخ الروح الإنسانى، وليس صاحب علم الشرق الجديد بهذا اللقب الذى يقتصر على معرفة بعض اللغات المجهولة، أو يستطيع أن يصف عادات بعض الشعوب، بل إنما هو جمع بين الانقطاع إلى درس بعض أنحاء الشرق، وبين الوقوف على القوى الروحية الأدبية الكبيرة التى أثرت على تكوين الثقافة الإنسانية.

(١) انظر الدكتور/ أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق ص ٢٢.

(٢) أربرى: المستشرقون البريطانيون، ص ٧، ٨، ترجمة محمد الدسوقي النويهى، ط. وليان لندن.

(٣) الدكتور أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق ص ٢٣.

هو من تعاطى درس الحضارات القديمة، ومن أمكنه أن يقدر شأن العوامل المختلفة في تكوين التمدن في القرون الوسطى مثلاً، أو في النهضة الحديثة، وعلم الشرق هذا علم من علوم الروح، يتعمق في درس أحوال الشعوب الشرقية، ولغاتها؛ وتاريخها وحضارتها، ثم يستفيد من البحوث الجغرافية، والطبيعية^(١).

ويذكر الدكتور أحمد سمايلوفتش - بعد أن عرض آراء علماء الغرب: أن الباحث يستطيع أن ينتهي إلى نتائج ذات دلالات بالغة؛ ليفيد منها إلى تقرير الحقائق التالية:

(أولاً): أن دارس موضوع الاستشراق يجب عليه قبل كل شيء أن يحدد مفهومه، ويحاول إيصال معناه محددًا إلى قارئه.

(ثانياً): أن الاستشراق علم ذو حدود واسعة، وأحياناً غير واضحة؛ إذ يختلط ميدانه بميادين العلوم الأخرى؛ لأن المستشرق قد يشارك في أبحاثه علماء الآثار، والأصوات، والاشتقاق، والحفريات، واللاهوت، وما شاكل ذلك.

(ثالثاً): أن المفهوم العلمي لكلمتي الاستشراق والمستشرق، قد مر بأدوار مختلفة منذ عام ١٦٨٣م عندما كان يعنى: أحد أعضاء الكنيسة الشرقية إلى عصرنا هذا، حيث أصبح يعنى التبصر في إحدى لغات

(١) جويدى: علم الشرق وتاريخ العمران ص. ١١ - ١٤.

الشرق، وآدابها، فكان هذا التبصر شرطا أساسيا فى عالم الاستشراق .

(رابعاً): أن كلمة (الاستشراق) ذات دلالتين، أولاهما: أنه علم يختص بفقهِ اللغة ومترلفاتها على وجه الخصوص، وثانيهما: أنه علم الشرق، أو علم العالم الشرقى على وجه العموم، فعلى هذا الأساس يشمل كل ما يتعلق بمعارف الشرق، من لغة وآداب، وتاريخ وآثار، وفن وفلسفة، وأديان وغيرها من علوم وفنون.

(خامساً): أن الاستشراق علميا يرجع إلى العصر الوسيط، بل إلى العصور القديمة.

(سادساً): أن الاستشراق - كفكرة علمية - قد نال حظا عظيما فى أثناء القرن الثامن عشر، حيث كان الشرق يأخذ مكانه فى أبحاثه ومؤلفاته إلى جانب الغرب فى أفق شمولى، مما يدل على أن دراسة العرب وما يتعلق بهم كان - ولا يزال - أمرا بالغ الأهمية لعلم الاستشراق ودراساته .

(سابعاً): أن الاستشراق يطلق على الجمع، والانقطاع إلى دراسة الأنحاء المختارة من الشرق، والوقوف على قواه الروحية، وآدابه العظيمة التى أسهمت إسهاما فعالا فى تكوين ثقافة العالم بأسره^(١).

والدكتور محمود حمدى زقزوق يرى: أن كلمة مستشرق بالمعنى العام تطلق على كل غربى يشتغل بدراسة الشرق كله، أقصاه، ووسطه،

(١) الدكتور/ أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق ص ٢٦ بتصرف.

وأدناه، فى لغاته، وأدابه وحضارته، وأديانه. والذى يعيننا هنا هو المعنى الخاص لمفهوم الاستشراق، الذى يعنى بالدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامى فى لغاته، وأدابه، وتاريخه. وعقائده، وتشريعاته، وحضارته بوجه عام، وهذا المعنى هو الذى ينصرف إليه فى عالمنا العربى الإسلامى، عندما يطلق لفظ استشراق أو مستشرق^(١).

وهناك آراء أخرى غير آراء هؤلاء العلماء الأجلاء، لكننا اكتفينا بما ذكرناه من آراء، لما فيها من السعة والشمول، ولعلنا بعد هذا نخلص إلى النتائج التالية:

أولاً: أن الاستشراق علم يحاول أصحابه دراسة كل ما يتعلق به من لغات وآداب ومعتقدات وعلوم وفنون وما شاكلها.

ثانياً: أن المعنى الأصلى لكلمة (استشرق): «صار شرقياً» وأن صيغة (المستشرق) علمياً تطلق على ذلك الذى يشتغل بالعقليات الشرقية عامة والسامية خاصة.

ثالثاً: أن المستشرق عالم غربى يهتم بالدراسات الشرقية على الإطلاق، ويجب أن يكون عالماً متخصصاً غربياً أصلاً أو انتماءً.

رابعاً: أن المعنى الذى ينصرف إليه الذهن عندما يطلق لفظ (مستشرق) هو الذى يعنى بالدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامى.

(١) الدكتور/محمود حمدى زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى، ص ١٨ طبع كتاب الأمة، قطر، ١٤٠٤هـ.

وبناء على ما ذكره العلماء المتخصصون والدارسون للاستشراق يمكن القول: إن الاستشراق أصبح اسما واسعا، يشمل طوائف متعددة تعمل فى ميادين الدراسات الشرقية المختلفة^(١)، ويكاد يكون الاستشراق علما قائما بنفسه له أصوله وفروعه وله مقدماته ونتائجه، يكاد يكون رجاله - على رغم شتاتهم - شعبا خاصا، وله أفقه الخاص به، وحياته المقصورة عليه^(٢).

ولكن يمكن القول: إن الاستشراق فى دراسته للإسلام ليس علما بأى مقياس علمي، وإنما هو عبارة عن «أيدولوجية» خاصة يراد من خلالها ترويح تصورات معينة عن الإسلام، بصرف النظر عما إذا كانت هذه التصورات قائمة على حقائق أو مرتكزة على أوهام وافتراءات^(٣).

والاستشراق مهنة وحرفة كالطب والهندسة والمحاماة، وهو أقرب الشبه إلى مهنة التبشير^(٤).

وإذا أجرى الباحث موازنة بين أداء علماء الغرب وعلماء العربية فى الاستشراق فإنه سوف يصل إلى التقديرات التالية:

(١) إبراهيم عبد المجيد اللبان: المستشرقون والإسلام، ص ٥٤ ط. الأزهر، ١٩٧٠م.

(٢) محمود الخوماني: المستشرقون، مجلة الرسالة ٢٦ يوليو ١٩٣٧ القاهرة.

(٣) الدكتور محمود حمدى زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى ص ١٢ كتاب الأمة.

(٤) حسين الهوى: نحن والمستشرقون، مجلة المعرفة ص ٤٠ يوليو ١٩٣٣م.

(أولاً): يرى العلماء أن الاستشراق قد أصبح علماً مستقلاً له ذاتيته، وكأنه يقوم بدراسة كل ما يتعلق بالشرق وحضارته.

(ثانياً): قرر العلماء أن المستشرق لابد له من معرفة كاملة بإحدى اللغات الشرقية وآدابها^(١).

ويبدو للباحث - بعد الدراسة والاستقصاء - أن للاستشراق أسباباً كثيرة ودوافع متعددة نفسية وتاريخية واقتصادية وأيدلوجية ودينية، وأخيراً علمية، وبجانب هذا هناك أسباب ثانوية شخصية مزاجية عند بعض الذين تهيأ لهم الفراغ والمال؛ واتخذوا الاستشراق وسيلة لإشباع رغبتهم الخاصة في السفر والترحال، أو في الاطلاع على ثقافات العالم القديم^(٢).

وليس من الضروري بحث تلك الدوافع والتعرف على كل هذه الأسباب، لأن السبب الرئيسي المباشر الذي دعا الأوروبيين إلى الاستشراق هو سبب ديني في الدرجة الأولى، فقد تركت الحروب الصليبية في نفوس الأوروبيين ما تركت من آثار عميقة، وجاءت حركة الإصلاح الديني المسيحي، فشعر المسيحيون: بروتستانت وكاثوليك بحاجات ضاغطة لإعادة النظر في شروح كتبهم الدينية، ولمحاولة تفهمها على أساس التطورات الجديدة التي تمخضت عنها حركة الإصلاح، ومن هنا اتجهوا

(١) الدكتور أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق ص ٣٢ بتصرف.

(٢) المصدر السابق نفسه ص ٣٢.

إلى الدراسات العبرانية، وهذه أدت إلى الدراسات العربية والإسلامية؛ لأن الأخيرة كانت ضرورة لفهم الأولى وخاصة ما كان منها متعلقا بالجانب اللغوي، وبمرور الزمن اتسع نطاق الدراسات الشرقية حتى شملت أديانا ولغات وثقافات غير الإسلام وغير العربية^(١).

ومن جهة أخرى رغب المسيحيون في التبشير بدينهم بين المسلمين، فأقبلوا على الاستشراق ليتسنى لهم تجهيز الدعاة وإرسالهم للعالم الإسلامي، والتقت مصلحة المبشرين مع أهداف الاستعمار، فمكن لهم، واعتمد عليهم في بسط نفوذهم في الشرق، وأقنع المبشرون زعماء الاستعمار بأن المسيحية ستكون قاعدة الاستعمار الغربي في الشرق، وبذلك سهل الاستعمار للمبشرين مهمتهم، وبسط عليهم حمايته، وزودهم بالمال والسلطان، وهذا هو السبب في أن الاستشراق قام في أول أمره على أكتاف المبشرين والرهبان ثم اتصل بالاستعمار^(٢).

ولا يعرف بالضبط من هو أول غربي عُنى بالدراسات الشرقية، ولا في أى وقت كان ذلك، ولكن المؤكد أن بعض الرهبان الغربيين قصدوا الأندلس في إبان عظمتها ومجدها وثقفوا في مدارسها، وترجموا القرآن

(١) الدكتور محمد البهي: المبشرون والمستشرقون ص ٣٧٤ من حولية كلية الدعوة، العدد الثاني

١٤٠٦هـ. مصر.

(٢) المصدر السابق ص ٣٧٥.

والكتب العربية إلى لغاتهم، وتعلموا على علماء المسلمين في مختلف العلوم، وبخاصة في الفلسفة والطب والرياضيات، ومن أوائل هؤلاء الرهبان الراهب الفرنسى «جريرت» الذى انتخب بابا لكنيسة روما عام ٩٩٩م، بعد تعلمه في معاهد الأندلس، وعودته إلى بلاده، وبطرس المحترم ١٠٩٢ - ١١٥٦م وجيراردى كريمون ١١١٤ - ١١٨٧م وبعد أن عاد هؤلاء الرهبان إلى بلادهم نشروا ثقافة العرب ومؤلفات أشهر علمائهم، ثم أسست المعاهد للدراسات العربية أمثال مدرسة «بادوى» العربية، وأخذت الأديرة والمدارس الغربية تدرس مؤلفات العرب المترجمة إلى اللاتينية وهى لغة العلم فى جميع بلاد أوروبا يومئذ، واستمرت الجامعات الغربية تعتمد على كتب العرب، وتعتبرها المراجع الأصلية للدراسة قرابة ستة قرون^(١).

وليس هناك شك فى أن الانتشار السريع للإسلام فى المشرق والمغرب قد لفت بقوة أنظار رجالات اللاهوت النصرانى إلى هذا الدين، ومن هنا بدأ اهتمامهم بالإسلام ودراسته^(٢).

ويبدو من الصعب تحديد تاريخ معين لبداية الاستشراق، وإن كان بعض الباحثين يشير إلى أن الغرب النصرانى يؤرخ لبدء وجود الاستشراق

(١) انظر الدكتور مصطفى السباعى: الاستشراق والمستشرقون ص ١٣، ١٤ ط المكتب الإسلامى

بيروت.

(٢) الدكتور محمود حمدى زقروق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى، ص ١٩.

الرسمى بصدور قرار مجمع «فيينا» الكنسى فى عام ١٣١٢م بإنشاء عدد من كراسى اللغة العربية فى عدد من الجامعات الأوروبية^(١) ولكن الإشارة هنا إلى الاستشراق الكنسى تدل أنه كان هناك استشراق غير رسمى قبل هذا التاريخ فضلا عن أن هناك باحثين أوروبيين^(٢).

ويذكر الباحثون: أنه ليس هناك اتفاق على فترة زمنية معينة لبداية الاستشراق، فبعض الباحثين يذهب إلى القول بأن البدايات الأولى للاستشراق ترجع إلى مطلع القرن الحادى عشر الميلادى، بينما يرى «رودى رات» أن بدايات الدراسات الإسلامية والعربية فى أوروبا تعود إلى القرن الثانى عشر الذى تمت فيه - لأول مرة - ترجمة معانى القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية، كما ظهر أيضا فى القرن نفسه أول قاموس لاتينى عربى^(٣).

وأول استعمال لكلمة «مستشرق» ظهر فى سنة ١٦٣٠م حيث أطلق على أحد أعضاء الكنيسة الشرقية أو اليونانية، وفى سنة ١٦٩١م وجدنا «أنتونى وود» يصف «صموئيل كلارك» بأنه «استشراقى نابه» يعنى بذلك أنه عرف بعض اللغات الشرقية، و«بيرون» حينما يتحدث عن المستر «ثورنتون» يذكر معارفه الكثيرة الدالة على استشراق عميق^(٤).

(١) المصدر السابق، ص ١٨، ١٩.

(٢) الدكتور/محمود حمدى زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى ص ١٩.

(٣) المصدر السابق ص ٢٠.

(٤) الدكتور أحمد سمايلوفتش: فلسفة الاستشراق ص ٢٢.

ويذكر «رودنسون» أن كلمة (مستشرق) ظهرت في اللغة الإنجليزية حوالى عام ١٧٧٩م كما دخلت كلمة (الاستشراق) على معجم الأكاديمية الفرنسية في عام ١٨٣٨م^(١).

وتجسدت فكرة نظام خاص مكروس لدراسة الشرق، ولم يكن المتخصصون بعد من العدد بحيث يمكنهم تشكيل جمعيات أو مجلات متخصصة في بلد واحد، كان أفق هؤلاء المستشرقين يشمل عديدا من المجالات بطريقة غير متوازية في عمقها، ومن هنا بدأ تصنيفهم كمستشرقين، وشهدت فكرة الاستشراق تعمقا كبيرا، إلا أنها تعرضت كذلك لأضرار، وكان الشرق يأخذ مكانه في مؤلفات القرن الثامن عشر إلى جانب الغرب في أفق شمولي^(٢).

ولكن المهم هنا ليس هو متى ظهر مفهوم (مستشرق) أو (استشراق) وإنما المهم هو متى بدأت الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا؟ ومتى بدأ الاشتغال بالإسلام والحضارة الإسلامية، سواء بالقبول أو بالرفض؟ وهذا أمر موغل في القدم، أما المصطلح ذاته فلا يعنى شيئا أكثر من إقرار أمر واقع، وإطلاق وصف على الدراسات التي كانت قائمة بالفعل قبل ذلك بقرون عديدة، بصرف النظر عن علمية هذه الدراسات أو موضوعيتها^(٣).

(١) انظر مكسيم رودنسون: تراث الإسلام تصنيف شاخت وبوزورث ج ١ ص ٧٨ ترجمة

الدكتور/ محمد زهير السهورى، سلسلة عالم المعرفة بالكويت ١٩٧٨م.

(٢) الدكتور أحمد سمايلوفتش: فلسفة الاستشراق ص ٢٥.

(٣) الدكتور محمود حمدى زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى، ص ٢١.

وعلى أية حال - كما يقول الدكتور زقزوق -^(١) فإن الدوافع لهذه البدايات المبكرة للاستشراق كان يتمثل في ذلك الصراع الذى دار بين العالمين الإسلامى والمسيحى، فى الأندلس وصقلية، كما دفعت الحروب الصليبية بصفة خاصة إلى اشتغال الأوروبيين بتعاليم الإسلام وعاداته^(٢).

ولهذا يمكن القول بأن تاريخ الاستشراق فى مراحلہ الأولى هو تاريخ الصراع بين العالم النصرانى الغربى فى القرون الوسطى والشرق الإسلامى على الصعيدين الدينى والأيدىولوجى، فقد كان الإسلام كما يقول «ساذرون»: «يمثل مشكلة بعيدة المدى بالنسبة للعالم النصرانى فى أوروبا على المستويات كافة»^(٣)، باعتباره مشكلة عملية استدعى الأمر اتخاذ إجراءات معينة كالصليبية والدعوة إلى النصرانية والتبادل التجارى .. وباعتباره مشكلة لاهوتية تطلب بإلحاح العديد من الأسئلة فى هذا الصدد، وذلك يقتضى معرفة الحقائق التى لم يكن من السهل معرفتها^(٤).

(١) مواليد محافظة الدقهلية عام ١٩٣٣م أتم دراسته فى جامعة الأزهر، وحصل على درجة الدكتوراه فى الفلسفة من جامعة ميونخ بألمانيا الغربية ١٩٦٨م، وقد أصدر عدة كتب ودراسات فى الفلسفة.

(٢) انظر د. زقزوق: الإسلام والاستشراق، ص ٧٣ ضمن كتاب: الإسلام والمستشرقون، جلة ١٤٠٥هـ.

(٣) الدكتور/ زقزوق: الاستشراق والحلفية الفكرية للصراع الحضارى ص ٢١.

(٤) المصدر السابق.

ويذكر الباحثون أنه من القرن الخامس الميلادي حتى أواخر القرن الرابع عشر الميلادي كانت أوروبا تعيش فترة يسمونها «العصور الوسطى» ويعودونها عصورا مظلمة؛ حيث كانت شعوب الفرنجة تعيش حياة همجية يائسة في ظلال كنيسة متسلطة مستبدة، ولكن كان أبرز حدث في تاريخ هذه الفترة هو تلك النافذة التي فتحت في جنوب أوروبا الغربي تطل منه على الحضارة الإسلامية، وذلك بوصول طلائع المسلمين إلى الأندلس، وإقامتهم صرح الحضارة الإسلامية فيها، والتي امتدت إلى أواخر القرن الرابع عشر الميلادي في حوالي سبعة قرون^(١)، كانت فيها الأندلس مركزا حضاريا في هذا الجزء من أوروبا يشع عليها آثاره في زحف هاديء في معظم الأحيان، ثم في صورة هجمات قوية كادت تخرق فرنسا إلى قلب أوروبا في أحيان أخرى^(٢).

وكانت هناك نافذة أخرى فتحت أمام أوروبا على الشرق، وهي الحملات الصليبية على بلاد الإسلام، فقد جلب الصليبيون معهم إلى أوروبا كثيرا من عادات المسلمين وأزيائهم وأنماط حياتهم ووسائلهم في الحرب والبناء.

ولا شك أن عالم الكنيسة النصرانية أيقن أن زحف المسلمين هذا لم يكن زحفا عسكريا فحسب، بل كان حضارة تمتد وتبسط نفوذها وتنشر

(٥) العقاد: أثر العرب في الحضارة الأوروبية ص ١١٥ - ١١٩، ط. دار المعارف.

(٢) عبد العزيز القارى: المستشرقون في الميزان، ص ٢٧٢ ط. المدينة المنورة.

معالمها في كل بقعة تصل إليها، فتغير من حياة الشعوب وأفكارهم وعقائدهم وأسلوب حياتهم.

وحاولت الكنيسة «روما» إيقاف هذا المد؛ ففتحت محاكم التفتيش تنكل وتحرق وتقتل كل من رفع راية العصيان في وجهها، أو حاول التخلص من سيطرتها، ورغم كل هذا فإن الكنيسة عجزت عن إيقاف التيار، فاضطرت إلى أن تدافع عن نفسها بطريقة أخرى، بدأت بالاهتمام بدراسة اللغات الشرقية، وفي مقدمتها اللغة العربية^(١).

فكانت طلائع المستشرقين من القسس والرهبان، فانكبوا على دراسة اللغة العربية، وكان رجال الكنيسة يشكلون وحدهم الطبقة المتعلمة في أوروبا، ويهيمنون على الجامعات ومراكز العلم فيها.

وأنشئ أول مركز لدراسة اللغة العربية في الفاتيكان لتخريج أهل جدل يقارعون فقهاء المسلمين ويجادلون البروتستانت.

ورحل أول فريق من الرهبان إلى المغرب للغاية نفسها، ورحل آخرون إلى المشرق، وأمر الفاتيكان بإدخال اللغة العربية، واللغات الشرقية الأخرى في مدارس الأديرة والكاتدرائيات. وعمل على إنشاء كراسٍ لهذه اللغات في الجامعات في أسبانيا وفرنسا وإيطاليا، وأصبحت جامعة باريس تشكل أهم مركز للدراسات العربية والشرقية، واستُعين بعدد من علماء

(١) المصدر السابق ص ٢٧٤، ٢٧٥.

اللاهوت، ويعدد من المستشرقين ممن أجادوا تلك اللغات للقيام بتدريسها في تلك المدارس، ولتولى تلك الكراسى في الجامعات^(١).

ثم توسعت الدراسات الشرقية والعربية أكثر عندما أمر بابا الفاتيكان الخامس في أوائل القرن الرابع عشر بإنشاء كراس للغات العربية والعبرية والكلدانية في عدد من الجامعات الرئيسية في أوروبا، وهي جامعة باريس وأكسفورد، وبولونيا وجامعة الفاتيكان نفسها، مع تنصيب أستاذين لكل من هذه اللغات في كل كرسى وتكليفهم بترجمة نصوص عربية وعبرية وكدافية للرد على منتقدي الدين المسيحي^(٢).

الأمر المهم بالنسبة لتطور الاستشراق كان الافتتاح بضرورة تعلم لغات المسلمين إذا أريد لمحاولات تنصير المسلمين أن تؤتي ثمارها بنجاح، ومن بين من تبنى هذا الرأي الذى فرض نفسه بالتدريج «روجريبيكون» و«رانمو ندلل» وقد صادق مجمع فيينا الكنسى عام ١٣١٢م على أفكار «بيكون ولل» بشأن تعلم اللغات الإسلامية واللغة العربية على وجه الخصوص، وقد تم تنفيذ ذلك في جامعات باريس وأكسفورد وسلمنكا^(٣).

وقد ساعد على تقدم الدراسات الاستشراقية في نهاية العصر الوسيط تلك الصلات السياسية والدبلوماسية مع الدولة العثمانية التي اتسعت

(١) انظر المصدر السابق ص ٢٧٥، ٢٧٦.

(٢) نجيب العفيفى: المستشرقون ج١ ص ١٣٤ ط. دار المعارف.

(٣) الدكتور محمود حمدى زقزوق: الإسلام والاستشراق ص ٧٥ ط. المعرفة، جدة.

رقعتها حينذاك، وقد كان للروابط الاقتصادية لكل من أسبانيا وإيطاليا مع كل من تركيا وسوريا ومصر، أثر كبير فى دفع حركة الدراسات الاستشراقية^(١).

وفى القرن السادس عشر وما بعده أدت النزعة الإنسانية فى عصر النهضة الأوروبية إلى دراسات أكثر موضوعية من ذى قبل، ومن ناحية أخرى ساندت البابوية الرومانية دراسة لغات الشرق من أجل مصلحة التبشير^(٢) ولذا يرى كثير من الباحثين: أن الاستشراق لون من ألوان التبشير «الغزو الفكرى» ويعود إلى أسباب دينية، فبعد عهد الإصلاح الدينى شعر الأوروبيون من البروتستانت والكاثوليك بحاجة إلى إعادة النظر فى شروح كتبهم فاتجهوا إلى الدراسات العربية والإسلامية، وأخذوا يستفيدون مما وصل إلى أيديهم من المؤلفات الإسلامية الكثيرة، ثم تطور الاستشراق فأصبح يهتم بالعلوم الاقتصادية والسياسية إلى جانب غرضه الأول وهو التمهيد للمبشرين وخدمة أهدافهم^(٣).

وقد كثر المستشرقون فى أول الأمر بين اليهود لعدد من الأسباب حين كان الشرط الأساسى للاستشراق معرفة اللغة العربية، وبما أن اليهود يتكلمون لغة أعرابية «ولا نقول سامية» فإن تعلم العربية كان سهلا

(١) المرجع السابق ص ٧٥.

(٢) المصدر السابق ص ٧٥.

(٣) الشيخ أحمد بشير: الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام ص ٤٦٩، ٤٧٠.

عليهم، ثم إن اليهود فى الأصل شرقيون، فساعدهم ذلك على فهم النصوص العربية، وعلى إدراك المشاكل الشرقية أكثر مما كان ذلك مساعداً لغير اليهود، وكذلك كان اليهود الذين يسكنون فى الغرب يعرفون الحاجات السياسية والعلمية التى كانت الدول والجمعيات المعنية بهذا الاتجاه ترمى إليها أكثر من غيرهم؛ لجمعهم فى الأصل بين الذهن الشرقى والمسكن الغربى»^(١).

والظاهر أن اليهود أقبلوا على الاستشراق لأسباب دينية، وهى محاولة إضعاف الإسلام والتشكيك فى قيمه بإثبات فضل اليهودية على الإسلام^(٢).

وقد استطاع اليهود أن يكتفوا أنفسهم ليصبحوا عنصراً أساسياً فى إطار الحركة الاستشراقية الأوروبية النصرانية^(٣).

ولم يرد اليهود أن يعملوا داخل الحركة الاستشراقية بوصفهم مستشرقين يهوداً حتى لا يعزلوا أنفسهم، وبالتالي يقل تأثيرهم؛ ولهذا عملوا بوصفهم مستشرقين أوروبيين، وبذلك كسبوا مرتين:

* كسبوا أولاً: فرض أنفسهم على الحركة الاستشراقية كلها.

(١) الدكتور عمر فروخ: الاستشراق فى نطاق العلم وفى نطاق السياسة ص ١٣٣، ١٣٤.

(٢) الدكتور محمد البهى: الفكر الإسلامى الحديث، ص ٥٤٣ ملاحق ط. دار الفكر، بيروت.

(٣) الدكتور محمود حمدى زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية، ص ٤٩.

* وكسبوا ثانيا: تحقيق أهدافهم فى النيل من الإسلام، وهى أهداف تلتقى مع أهداف غالبية المستشرقين النصارى^(١).

وقد ظل اليهود طوال تاريخهم يتحينون كل فرصة متاحة ليكيدوا للإسلام والمسلمين، وقد وجدوا فى مجال الاستشراق بابا ينفثون منه سمومهم ضد الإسلام والمسلمين، فدخلوا فى هذا المجال مستخفين تحت رداء العلم، كما وجدوا فى الصهيونية بابا آخر يفرضون منه سيطرتهم على العرب والمسلمين^(٢).

وتتمثل اتجاهات الاستشراق اليهودي في عدة شبهات:

أولاً: القول بأن المسلم معناه فى الأصل الخائن.

ثانياً: الادعاء بأن النبى - عليه الصلاة والسلام - كانت تنتابه النوبات العصبية، ودليل ذلك ما كان يصيبه من الجهد خلال نزول الوحى، مع أنه - عليه الصلاة والسلام - لم يعرف فى تاريخه كله أنه كان يصاب بمثل هذه النوبات العصبية قبل زمن البعثة ومقدماتها.

ثالثاً: الزعم بأن الرسول ﷺ عاشر بعض النصارى واليهود فاستفاد منهم كثيراً من القصص، واقتبس بعض أساليب التعبير التى لم تكن معروفة للعرب، مثل: ذاق الموت، ونفخ فى الصور، وفى آذانهم وقر،

(١) المصدر السابق ص ٥٠ بتصرف.

(٢) المصدر السابق ص ٥٠ بتصرف.

وهو ادعاء مسوق ردهه مشركو مكة الذين قالوا: ﴿ إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ ﴾ وقد بكتهم القرآن فقال: ﴿ لَسَاتُ الَّذِي يَلْحَدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَبِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ (١).

﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَسْأَلُونَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكُمْ إِذَا لَأَزْتَابُ الْمُبْطِلُونَ ﴾ (٢).

رابعاً: الادعاء بأن محمداً ﷺ ما كان رسولا ولا نبيا، فزعم للعرب في تجسس الأخبار والإسراع بنقلها بطرق لم يوفق أحد من المتحضرين حتى اليوم إلى كشف سرها.

خامساً: أن محمداً ﷺ صادق الفراسة، نفاذ للرجال، إذا لقي أحدهم انكشف له سره، وافتضحت أمامه خفايا صدره، وعرف كيف يستميله ويجذبه إليه.

سادساً: ما كان من بلاغ النبي ﷺ ورسالته لم يكن وحيا يوحى وإنما هي أنباء وروايات يجند لها جواسيسه ورجاله، أو حقائق يبلغها بحذقه وفراسته.

سابعاً: تزوج الرسول ﷺ بالسيدة خديجة - رضی الله عنها - طمعا في ثروتها، وهي أكذوبة لا تتفق مع ما عرف عن رسول الله ﷺ من زهد

(١) سورة النحل، الآية رقم ١٠٣.

(٢) سورة العنكبوت، الآية رقم ٤٨.

فى الدنيا، وأنه لم يورث أعقابه الزهيد مما خلفه بل جعله لعامة المسلمين، بقوله: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركنا صدقة» .

ثامنا: الزعم أنه أنشأ جمعية سرية، واختار أبا بكر الصديق - رضى الله عنه - رئيسا لها، فجعل يروج لها ويتفانى فى نشرها، فكانوا يجتمعون فى بيت الأرقم، وأنهم كانوا يجتمعون سرا للصلاة، وقد حاول المستشرق «مرجليوث» تشبيههم بالماسون، وأن هذا الجمع قد اتخذ له رموزا منها: السلام عليك .

تاسعا: الزعم بأن النبى ﷺ نظر فى تعاليم النصارى واليهود فأخرج منها ما لا يقبله العقل، وأنه وحد بين إله اليهود والنصارى وجعلهما واحدا .

ولا ريب أن هذا القول باطل من أساسه، والحقيقة أن التوحيد هو دين جميع رسل الله وأنبيائه، وأن النصرانية واليهودية حرّفتا هذه العقيدة^(١) .
على هذا النحو حاول الاستشراق اليهودى تصوير الإسلام ورسالته ونبيه ﷺ وهو ما أورده «مرجليوث» فى كتابه: «محمد وظهور الإسلام»^(٢) .

(١) الأستاذ أنور الجندى: الإسلام فى وجه التغريب ص ٣١١، ٣١٢، ط. دار الاعتصام .

(٢) المصدر السابق ص ٣١٢ .

وقد تابع «مرجليوث» على نفس الطريق فى الاستشراق اليهودى «جولدسيهر» ويعد جولدسيهر من أكبر الناقمين على الإسلام، ويعد كتابه «العقيدة والشريعة فى الإسلام» مثلا لهذا التشويه الذى حاول به تمزيق الحقائق الإسلامية، والذى يمثل تزويرا فادحا وتحريفا خطيرا لسمعة الإسلام^(١).

ويضيف «جولدسيهر» إلى مفهوم الاستشراق اليهودى عدة شبهات:
أولا: القول ببشرية القرآن، أى أنه ليس وحيا، وأن القرآن لم يأخذ خطأ واحدا فى التعبير عن مدلول القضايا التى ساقها، وأن أسلوبه متباين بين البيتين المكية والمدنية.

ثانيا: أن الإسلام كان مزيجا منتخبا من الفكر اليهودى والمسيحى.

ثالثا: استقبال الرسول لبيت المقدس فى الصلاة استرضاء لليهود.

رابعا: أن قصة إبراهيم فى القرآن مفتعلة، وأنها نزلت فى المدينة إرضاء لليهود، والواقع أن القرآن تحدث عن إبراهيم - عليه السلام - فى أكثر من موضع فى القرآن المكي، وأهمها سورة إبراهيم.

خامسا: الفقه الإسلامى مأخوذ من الفقه الرومانى.

سادسا: أن الإسلام قام على السيف.

(١) المصدر السابق ص ٣١٤.

سابعاً: الحديث النبوى من صناعة الصحابة والتابعين.

ثامناً: الجيوش العربية أخرجها القحط والجوع.

تاسعاً: إنكار عالمية الرسالة^(١).

١ ولا ريب أن هذه الشبهات ليست جديدة، وقد كشف كُتّاب المسلمين فسادها وزيفها.

إذا كان الأمر - كما عرفنا - من بداية الحركة الاستشراقية. فإننا نرى أن الحركة الاستشراقية انتقلت إلى مرحلة أخرى، توجهت فيها إلى دراسة الإسلام، وما يتصل به، وكان الهدف من ذلك هو التمهيد للاستعمار الزاحف في ذلك الوقت^(٢).

ولما أدرك الغرب أن التغلب على المسلمين والتحكم فيهم عسكرياً حدث قصير العمر انصرفت همم المستشرقين وعلماء الغرب إلى الغزو الفكرى^(٣) والتبشيري أو تحويل المسلمين عن الإسلام.

وهذه المرحلة من أخطر المراحل، بل هى الحرب الحقيقية، والغزوة

(١) انظر المصدر السابق ص ٣١٤.

(٢) د. عبد العظيم الديب، المستشرقون والتاريخ، مجلة البعث الإسلامى، عدد ٣٢٢ ص ٢٤٣ رمضان وشوال ١٤٠٢هـ الهند.

(٣) د. حسن ضياء الدين: الاستشراق، مجلة كلية الشريعة، ص ٢٦ العدد الخامس مكة المكرمة ١٤٠١هـ.

الشرسة التي لا تهدف إلا إلى هدم المنشآت وتمزيق الجيوش، وتحطيم العزائم، وطمس المعالم، وتعمية الطريق، وبذلك يضمنون الخضوع من غير أن يحتاجوا إلى أن يرفعوا سلاحاً^(١).

ولذلك عمل المستشرقون على تقويض العقيدة الإسلامية، وإحلال مفاهيم الصداقة بين الدول الغالبة والمغلوبة محلها تحت اسم الحضارة، أو العالمية، أو وحدة الثقافة والفكر البشري^(٢) والإخاء الإنساني، وما إلى ذلك من مسميات، ويرى كثيرون أن الاستشراق ولد من أبوين غير شرعيين هما: الاستعمار والتبشير، وأنه مازال يعمل من أجل هذا الغرض الذي ولد من أجله، وإن غير أساليبه وجلده مرات ليتلاءم مع الظروف المختلفة^(٣).

أما الاستعمار فهو يرى أن المفهوم الإسلامي السليم من شأنه أن يعطى المجتمع المسلم قوة تحول دون سيطرته واستمراره.

وأما التبشير فإنه يستهدف الحيلولة دون توسع الإسلام وانتشاره، وقد أضيف إلى هذين الأبوين أب ثالث هو الصهيونية التي تهدف من سيطرتها

(١) الدكتور عبد العظيم الديب: المستشرقون والتاريخ، مجلة البعث الإسلامي، ص ١٤٣، عدد

٢، ٣ رمضان وشوال ١٤٠٢هـ.

(٢) دكتور على جريشة ومحمد شريف: أساليب الغزو ص ٢٠ ط. دار الاعتصام.

(٣) الأستاذ أنور الجندي: الإسلام في وجه التغريب، ص ٢٦٥، ٢٦٦.

على الاستشراق إلى الحيلولة دون تجميع المسلمين والعرب فى وحدة تقاوم الصهيونية^(١).

ولقد كان الارتباط الجذرى بين التبشير والاستشراق أخذاً وعطاء قويا، والفرق بينهما هو أن الاستشراق أخذ صورة البحث، وادعى لبحثه الطابع العلمى الأكاديمى، بينما بقيت دعوة التبشير فى حدود مظاهر العقلية العامة، وهى العقلية الشيعية.

واستخدم الاستشراق: الكتاب، والمقال فى المجلات العلمية، وكرسى التدريس فى الجامعة، والمناقشة فى المؤتمرات العلمية العامة، أما التبشير فقد سلك طريق التعليم المدرسى فى دور الحضانة ورياض الأطفال والمراحل الابتدائية والثانوية للذكور والإناث على السواء، كما سلك سبيل العمل الخيرى الظاهرى فى المستشفيات ودور الضيافة والملاجىء للكبار، ودور اليتامى واللقطاء، واستخدم كذلك دور النشر والطباعة والصحافة^(٢).

وإذا كان الأمر كما ذكرنا فإنه - ولا شك - كان للاستشراق صلة بحركة الاستعمار الأوروبى، وبحركة التبشير المسيحى فى العصر الحديث.

كانت الغاية الأولى من هذا الاستشراق معرفة اللغة العربية؛ ذلك أن اللغة هى الوسيلة الأساسية للسيطرة على الشعوب المحكومة، أو للوصول

(١) المصدر السابق، ص ٣٦٦.

(٢) الدكتور/ محمد بهى: المبشرون والمستشرقون ص ٣٦١.

إلى تفهم شَعْبٍ عقائدَ شَعْبٍ آخر، فالاستشراق قد نشأ فى الدول الكبيرة القوية ذات المطامع فى التوسع وفى الأرض، وفى الدول التى أصبح لها - فيما بعد - مستعمرات مثل إنجلترا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا وأسبانيا، وبلجيكا وهولندا، وروسيا^(١).

وحاول المستشرقون أن يحققوا أهدافهم بكل الوسائل، ألفوا الكتب، وألقوا المحاضرات والدروس، وبشروا بالمسيحية بين المسلمين، وجمعوا الأموال، وأنشأوا الجمعيات، وعقدوا المؤتمرات، وأصدروا الصحف، وسلكوا كل مسلك، وظنوه محققا لأهدافهم.

وفى عام ١٧٨٧م أنشأ الفرنسيون جمعية المستشرقين، ألحقوها بأخرى عام ١٨٢٠م وأصدرت «المجلة الآسيوية».

وفى لندن تآلفت جمعية لتشجيع الدراسات الشرقية فى عام ١٨٢٣م، وقبل الملك أن يكون ولى أمرها وأصدرت مجلة «الجمعية الآسيوية الملكية» وفى عام ١٨٤٢ أنشأ الأمريكيون جمعية ومجلة باسم: «الجمعية الشرقية الأمريكية» وفى العام نفسه أصدر المستشرقون الألمان مجلة خاصة بهم، وكذلك فعل المستشرقون فى كل من النمسا وإيطاليا وروسيا^(٢).

ويصدر الأمريكيون فى الوقت الحاضر مجلة «شئون الشرق الأوسط»

(١) الدكتور/ عمر فروخ: الاستشراق فى نطاق العلم وفى نطاق السياسة ص ١٢٠.

(٢) الدكتور محمد البهى: المبشرون والمستشرقون ص ٣٧٧.

وقد حلت محل مجلة «جمعية الدراسات الشرقية» التي كانوا يصدرونها في أوائل هذا القرن، وآخر المجلات التي يصدرها المستشرقون الأمريكيون هي مجلة «العالم الإسلامي» التي أنشأها صمويل زويمر ١٩١١م وتصدر من «هارتفورد» بأمريكا، وطابعها تبشيري سافر^(١).

وللفرنسيين مجلة شبيهة بمجلة «العالم الإسلامي» في روحها واتجاهها العدائى التبشيري، وفي اسمها أيضا^(٢).

ولعل أخطر ما قام به المستشرقون حتى الآن هو إصدار «دائرة المعارف الإسلامية» بعدة لغات، وكذلك إصدار موجز لها بنفس اللغات الحية التي صدرت بها الدائرة، ومصدر الخطورة في هذا العمل هو أن المستشرقين عبأوا كل قواهم وأقلامهم لإصدار هذه الدائرة وهي مرجع لكثير من المسلمين في دراستهم على ما فيها من خلط وتحريف وتعصب سافر ضد الإسلام والمسلمين^(٣).

ويعتمد المستشرقون - فيما يعتمدون - على عقد المؤتمرات العامة من وقت لآخر، لتنظيم نشاطهم، وأول مؤتمر عقده كان سنة ١٧٨٣م ومازالت مؤتمرات تتكرر حتى اليوم.

وفي العصر الحديث تقوم المؤسسات الدينية والسياسية والاقتصادية في

(١) الشيخ أحمد بشير: الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ص ٤٧١ ط. الرياض بالسعودية.

(٢) الدكتور/ محمد البهي: المبشرون والمستشرقون ص ٣٧٨.

(٣) المصدر السابق، ص ٣٨٧.

الغرب بما كان يقوم به الملوك والأمراء فى الماضى من الإغداق على المستشرقين والمبشرين، وحبس الأوقاف والمنح على من يعملون فى حقل الاستشراق والتبشير^(١).

واتجه المستشرقون والمبشرون بمعاونة الاستعمار إلى مجال التربية محاولين غرس مبادئ التربية الغربية فى نفوس المسلمين حتى يشبوا مستغربين فى حياتهم وتفكيرهم، وحتى تخف فى نفوسهم موازين القيم الإسلامية^(٢).

ولا يعرف العقل ولا المنطق حدا لما يقوم به المستشرقون من تحريف التاريخ الإسلامى، وتشويه لمبادئ الإسلام وثقافته، وإعطاء المعلومات الخاطئة عنه وعن أهله، وكذلك يجاهدون بكل الوسائل ليتتقصوا من الدور الذى لعبه الإسلام فى تاريخ الثقافة الإنسانية.

إن المستشرقين جميعا فيهم قدر مشترك فى هذا الجانب، والتفاوت - إن وجد بينهم - إنما هو فى الدرجة فقط، فبعضهم أكثر تعصبا ضد الإسلام، وعداوة له من البعض الآخر، ولكن يصدق عليهم جميعا أنهم أعداؤه^(٣).

والمستشرقون يتدخلون بشخصياتهم وآرائهم وأهوائهم الخاصة فيفسرون

(١) المصدر السابق ص ٣٧٨.

(٢) انظر: مجلة العالم الإسلامى، ١٦ مارس ١٩٥٩م ص ١١٤ باكستان.

(٣) الدكتور محمد البهى: المبشرون والمستشرقون ص ٣٧٩.

الحوادث، ويناقدون النصوص التشريعية، ويحللون قضايا اللغة، وشخصيات الحضارة الإسلامية، كل ذلك يدرسونه من وجهة نظرهم، ويطلقون عليه من نافذتهم الخاصة، فيلقون عليه ظلالة معينة تغير معالم الصورة الأصلية، وفي غالب الأحيان تعطينا دراساتهم صورة غريبة مشبوهة لحضارة شرقية، وتقدم لنا الإسلام نفسه من خلال نظرة علمانية أو نصرانية، هذا مع أنه توفرت للمستشرقين من الإمكانيات والعوامل المساعدة ما لم يتوفر لأحد خاصة عندما بسطت أوروبا نفوذها وسيطرتها الاستعمارية على منطقة العالم الإسلامي، وفتحت الأجواء فسيحة للمستشرقين والمبشرين، يتجولون في المنطقة بحرية تامة، ويعبثون بمصادر الثقافة فيها ومعالم الحضارة^(١)، بل ويستولون على كثير من المخطوطات الثمينة التي تشكل مجموعها صرح المكتبة الإسلامية الكبرى، فينهبون المخطوطات وينقلونها إلى أوروبا، وقد اطلعت على بعض الدراسات التي ذكرت أنه بالإمكان أن نجزم أن حوالى تسعين فى المائة من المخطوطات الثمينة نهبت وانتقلت إلى مكاتب وجامعات أوروبا وأمريكا، وذلك على أيدي المستشرقين الذين كانوا ينتقونها بخبرة ومعرفة دقيقتين^(٢).

وكان انتقال هذا التراث إلى أيدي دوائر الاستشراق واحدا من أخطر

(١) الشيخ عبد العزيز القارىء: المستشرقون فى الميزان، ص ٢٧٧، من محاضرات الجامعة

الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٣٩٣هـ.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٧٧.

التحديات؛ لأنه أصبح حجة لنا لا علينا، وأصبح إحيائه يجرى على النحو الذى يختاره الاستشراق لا وفق إرادتنا الخاصة^(١).

ولذا أحيا المستشرقون أنواعا معينة وأولوها اهتماما كبيرا، منها دراسات الحلاج التى عنى بها المستشرق (ماسنيون) ودراسات عن السهروردي، وبشار، وأبى نواس، وألف ليلة وليلة، وكليلة ودمنة، وما يتصل بابن الروندى، وإحياء الأغاني، وكل هذه الدراسات فيها شبهة طرح مفاهيم من شأنها أن تحطم مفهوم الإسلام الأصيل أو تزيفه^(٢).

وإن أى محاولة لتصوير فلسفة الاستشراق لا تعدو ما أورده الباحثون المنصفون من أنها محاولة الاستعمار الغربى لدراسة العقلية العربية الإسلامية، والنفسية العربية الإسلامية؛ بقصد الانتفاع بذلك فى التعامل معها، والسيطرة عليها، وتدمير مقوماتها التى أعطتها القدرة على 'تماسك والصمود'^(٣).

ويخلط الاستشراق كثيرا بين الإسلام كدين وتعاليم ثابتة، والقرآن الكريم والسنة الصحيحة، وبين الوضع المتردى للعالم الإسلامى فى عالم اليوم.

(١) الأستاذ أنور الجندى: الإسلام فى وجه التغريب، ص ٣٣٩ بتصرف.

(٢) المصدر السابق، ص ٤٠٠.

(٣) المصدر السابق، ص ٤٠٢.

فالإسلام الكتاب والسنة يعد في نظر مستشرق معاصر، مثل «كيسلنج» إسلاما ميتا، أما الإسلام الحى الذى يجب الاهتمام به ودراسته فهو ذلك الإسلام المنتشر بين فرق الدراويش فى مختلف الأقطار الإسلامية، هو تلك الممارسات السائدة فى حياة المسلمين اليوم بصرف النظر عن اقترابها أو ابتعادها من الإسلام الأول^(١).

ويؤكد الاستشراق بوضوح على أهمية الفرق المنشقة عن الإسلام كالبائية والبهاية والقاديانية، وغيرها من فرق قديمة وحديثة، ويعمل على تعميق الخلاف بين السنة والشيعة، والمستشرقون يعدون المنشقين عن الإسلام على الدوام أصحاب فكر ثورى تحررى عقلى، ودائما يهتمون بكل غريب وشاذ^(٢).

فالاستشراق فى شطريه - عاملا مع الكنيسة أو عاملا مع الاستعمار - لا يستطيع أن يخلص إلى الحق، وإنما هو يؤدى دوره فى إثارة الشبهات وتقديم الزاد الكافى لدراسات التبشير، ومعاهد الإرساليات لإيجاد تيار زائف مضلل^(٣).

وكان من بين الخطط التى دبرت أن يعمل المبشرون بكل الوسائل للتشهير بالدين الإسلامى وإظهاره - برغم وحدانيته - فى صورة أدنى إلى

(١) الدكتور/ محمود حمدى زقزوق: الاستشراق والحللفية الفكرية، ص ١١٦.

(٢) الدكتور/ محمود حمدى زقزوق: الاستشراق والحللفية الفكرية، ص ١١٦.

(٣) الأستاذ أنور الجندى: الإسلام فى مواجهة التغريب، ص ٤٠٢.

الغريزة البشرية، وأنه يصلح لإشباع النزعات الدينية السطحية دون التعمق في تهذيب الروح والخلق، وزعموا أنه دين يشجع الحياة الجنسية، ويدعو إلى الخمول والاستسلام لأحكام وتصرفات القدر.

ولقد عاون المستشرقون في تثبيت وتأكيد هذه الاتهامات وتوسعوا فيها.

وبعد هذ الذي ذكرناه نعود إلى وقفة إنصاف لا بد منها؛ حيث إنه من المقطوع به أن الاستشراق - من خلال هدفه ومهمته - قدم للفكر الإسلامى العربى أشياء كثيرة نافعة. لا يمكن إنكارها، ولا تجاهلها، ولا نكون مجاملين لأحد عندما نقول: إن دراسات المستشرقين أدت خدمات فى مجالين:

المجال الأول:

استيعاب المصادر وجمع المعلومات بشكل واسع، وربما ساعدهم على ذلك اهتمامهم بالاختصاص الدقيق؛ بحيث يقضى أحدهم فترة طويلة من عمره فى بحث واحد يتفرغ له.

المجال الثانى:

الترتيب والتنسيق فى منهج البحث والتأليف والإحصاء والفهرسة، وعنايتهم بها عناية كبيرة، وكان ذلك شيئاً جديداً على الدارسين فى الفترة التى ظهرت فيها دراسات المستشرقين إلى عالم القراء.

وتبتهت الأوساط العلمية والدارسون فى العالم الإسلامى إلى هذا المنهج المنسق الذى ظهر فى دراسات المستشرقين، فاستفادوا منه فى بحوثهم ودراساتهم، وإن الباحث ليعترف بهذه الخدمات التى أدتها دراسات المستشرقين^(١).

ولا يفوتنا أن نذكر أن بعض المستشرقين سلكوا منهجا خاصا بهم فى كثير من الأحوال، فمن جهود المستشرقين نشر الأصول العربية نشرا محررا مصححا بالمقارنة بين المخطوطات الراهنة، إن تاريخ الطبرى، وطبقات ابن سعد، وتفسير البيضاوى قد رأت النور أول ما رأت على يد مستشرقين قضوا فى تحريرها جانبا كبيرا من حياتهم، ثم أخرجوها لنا ولهم أيضا فى حالة وافية صحيحة، وكتب المستشرقون لتلك الكتب مقدمات صحيحة فيها دراسة وتقويم لتلك الكتب.

وبدأ المستشرقون عمل الفهارس الهجائية للكتب التى حرروها، ولم نعرف نحن ذلك قبلهم^(٢).

وقد خدم المستشرقون كذلك تراثنا الإسلامى لما نقلوا جانبا كبيرا من كتبنا إلى لغاتهم^(٣).

(١) الشيخ عبد العزيز القارى: المستشرقون فى الميزان ص ٢٧٨.

(٢) الدكتور/ عمر فروخ: الاستشراق فى نطاق العلم وفى نطاق السياسة ص ١٣١ من كتاب المستشرقون والإسلام، طبع الهند.

(٣) المصدر السابق ص ١٣٢.

أما فيما يتعلق بفنية البحث عن أحاديث الرسول ﷺ فإن الاستشراق قدم إلى الدراسات العربية الإسلامية خدمة جلييلة نقدرها حق قدرها؛ لأن من شأنها أن تسهل البحث عن النصوص المنتشرة في مجلدات لا حصر لها، وإذا كان «مفتاح كنوز السنة» الذى وضعه المستشرق الإنجليزى د. فسنك، والذى قام بنقله محمد فؤاد عبد الباقي، يعد من أعظم الأعمال الميسرة للبحث عن النصوص النبوية فى حوالى أربعة عشر كتابا من كتب الحديث فإن المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى يعد فى قمة الأعمال التى قام بها المستشرقون، فخدموا كل باحث أو طالب للحديث فى كتب تسعة من أمهات كتب الحديث^(١)، وهذا يدل على أن هناك اتجاهها طيبا عند البعض فى الظاهر.

والفكر الاستشراقى - بعيدا عما ذكرناه فى دائرة الإنصاف - له خطورته؛ لأنه لا يقوم على منهج علمى سليم، وأنه يزيّف الحقائق ويخلط بين الحق والباطل، وأنه يتصل بالتبشير اتصالا وثيقا، وأن التعاون بينهما قائم ومستمر.

(١) الدكتور/ أحمد سمايلوفتش: فلسفة الاستشراق، ص ٢٠٦ بتصرف.

مواجهة الفكر الاستشراقى

قد يكون من البدهيات التى لا تحتاج إلى دليل، ولا تخفى على باحث أو دارس: أن الغرب والشرق لم يكونا منعزلين عن بعضهما، بل اتصلا ببعضهما اتصالا - أيا كان هذا الاتصال - منذ القدم. . وتاريخ هذا الاتصال حافل بالتفاعلات، والصراعات الثقافية، والسياسية بين هذين العالمين^(١).

فأوروبا اكتشفت الفكر الإسلامى فى مرحلتين من مراحل تاريخها، فكانت مرحلة القرون الوسطى قبل وبعد توماس الإكوينى^(٢) تريد اكتشاف هذا الفكر وترجمته. ومن أجل إثراء ثقافتها، بالطريقة التى أتاحت لها فعلا تلك الخطوات التى هدتها إلى حركة النهضة، منذ أواخر القرن

(١) انظر الدكتور محمد إبراهيم حسن: الاستشراق وأثره على الثقافة العربية، مجلة رسالة الخليج العربى، العدد رقم ٢٣ ص ٢٥ السنة الثالثة ١٤٠٨هـ.

(٢) توماس الإكوينى: ولد سنة ١٢٢٥م، وتوفى سنة ١٢٧٤م، ويعتبر من أعظم الفلاسفة واللاهوتيين فى العصر المدرسى المسيحى، وفى سنة ١٣٢٣م منحه الكنيسة الكاثوليكية لقب القديس.

الخامس عشر الميلادي، وفي المرحلة العصرية والاستعمارية فإنها تكتشف الفكر الإسلامي مرة أخرى، لا من أجل تعديل ثقافي. بل من أجل تعديل سياسى، لوضع خططها السياسية مطابقة لما تقتضيه الأوضاع فى البلاد الإسلامية من ناحية، ولتسيير هذه الأوضاع طبق ما تقتضيه السياسات فى البلاد الإسلامية^(١).

ويذكر المؤرخون للاستشراق أن الجيوش الأوروبية الصليبية لما هاجمت بلاد الإسلام كانت مدفوعة إلى ذلك بدافعين:

الدافع الأول: دافع الدين والعصبة العمياء التى أثارها رجال الكنيسة فى شعوب أوروبا، مفترين على المسلمين أبشع الافتراءات، محرضين النصارى أشد تحريض على تخليص مهد المسيح من أيدي الكفار - أى المسلمين - فكان جمهرة المقاتلين من جيوش الصليبيين من هؤلاء الذين أخرجتهم العصبة الدينية من ديارهم عن حسن نية، وقوة عقيدة، إلى حيث يلاقون الموت والقتل والتشريد، حملة بعد حملة، وجيشا بعد جيش.

والدافع الثانى: دافع سياسى استعماري؛ فلقد سمع ملوك أوروبا بما تتمتع به بلاد المسلمين من حضارة وثروات، فجاءوا يقودون جيوشهم باسم المسيح، وما فى نفوسهم إلا الرغبة فى الاستعمار والفتح، وشاء الله أن ترتد الحملات الصليبية كلها مدحورة مهزومة. وقد رأى الصليبيون -

(١) مالك بن نبي: إنتاج المستشرقين وأثره فى الفكر الإسلامى ص ٨.

بعد الإخفاق عسكرياً - أن يتجهوا إلى دراسة شؤون المسلمين وعقائدهم، تمهيداً لغزوهم ثقافياً وفكرياً، ومن هنا كانت النواة الأولى لجمعيات المستشرقين^(١).

فالاستشراق يمثل ظاهرة بارزة، من مظاهر تلك التفاعلات، والبصراعات التي قامت بين الشرق والغرب. ويمكن النظر إلى الاستشراق على أنه فرع من فروع المعرفة في الثقافة الغربية، موضوعه: الشرق. وكلمة (مستشرق) تطلق على كل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق ولغاته، وآدابه، وحضارته وأديانه. والاستشراق بهذا المعنى مفهوم أكاديمي. وقد نشأ هذا المفهوم في أوساط جامعية، ولازال يستخدم في أوساط أكاديمية، فالمستشرق هو من يقوم بتدريس الشرق أو الكتابة عنه أو بحثه^(٢).

ولقد كان الهدف الرئيسي من إنشاء مؤسسات الاستشراق هو تزويد المنصرين بمعارف واسعة ومتنوعة حول الإسلام وأهله، كي يتسللوا بعد ذلك إلى الدوائر العلمية الإسلامية: من مدارس، ومعاهد، وجامعات. ليعيشوا فيها فساداً، بجانب تصيدهم لأبناء الدول الإسلامية، وإلحاقهم بهذه المؤسسات، والإشراف على تعليمهم وتوجيههم^(٣).

(١) الدكتور مصطفى السباعي: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ص ١٨٧، ١٨٨ ط المكتب الإسلامي بيروت ١٣٩٨هـ.

(٢) انظر الدكتور محمد إبراهيم حسن: الاستشراق وأثره على الثقافة العربية، مجلة رسالة الخليج العربي، العدد ٢٣، ص ٣٥، السنة الثامنة.

(٣) راجع الدكتورة عزيزة طه: من افتراءات المستشرقين على أحداث التوحيد، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، السنة السادسة، العدد الثالث عشر، ص ٢٣، رمضان ١٤٠٩هـ، أبريل ١٩٨٩م، مجلس النشر العلمي في جامعة الكويت.

ومفهوم الاستشراق قد مر بمراحل مختلفة، تأثر خلالها بعوامل وقوى دينية وثقافية وسياسية مختلفة، ويمكن تقسيم هذه المراحل إلى ثلاث مراحل متميزة:

المرحلة الأولى:

وتمتد من بداية الاستشراق حتى بداية عصر النهضة الأوروبية، ولقد تطور الاستشراق في المرحلة الأولى، من كتابات فردية غير منظمة، حتى أصبح بحثاً منظماً ورسمياً، بمعنى أنه أصبح يتم في مؤسسات رسمية، وتحت إشرافها، وهي الجامعات. أما من حيث محتواه وخصائصه في هذه المرحلة فقد اتسم في مجمله بالعداء للإسلام، وساده اتجاه لاهوتي خرافي متطرف: في جدله، وعدائه للإسلام. وكان الاستشراق في هذه المرحلة مظهراً للصراع الديني والأيديولوجي بين العالمين الأوروبي المسيحي والشرق الإسلامي.

المرحلة الثانية:

وتمتد من عصر النهضة حتى نهاية القرن الثامن عشر الميلادي، وفي هذه المرحلة أثرت في مفهوم الاستشراق عدة عوامل أهمها: النزعة الإنسانية التي سادت في عصر النهضة، وحركة التنوير، «النزعة العقلية» فأدت هاتان النزعتان إلى دراسات للشرق الإسلامي أكثر موضوعية.

المرحلة الثالثة:

من القرن التاسع عشر إلى وقتنا الحالى، وشهدت المرحلة الثالثة

للاستشراق عدة تطورات فى مفهومه وحركته. وفى هذه المرحلة عاد طابع العداء ليغلب على الغرب للشرق^(١).

وإذا كان الاستشراق قد بدأ بدراسة اللغة العربية والإسلام، فإن الدافع لذلك لم يكن دافعا علميا خالصا، لدى جمهرة المستشرقين؛ لأن من طبيعة الدافع العلمى أن يكون نزيها عادلا، حريصا على استجلاء الحقيقة، بتجرد، وصدق، وإنصاف. لا تتحكم فيه موروثات، أو رواسب ثقيلة مما صنعتها البيئة الخاصة، أو أمثله وقائع تاريخية معينة تتسم بتسجيل فترات الخصومات الدموية، والنزاع العدوانى^(٢).

ولكن هذه الشروط التى تجعل دراسة الاستشراق للإسلام وتاريخه، واللغة العربية عملا علميا صحيحا ليست متوافرة للمستشرقين الأوروبيين، الذين اتجهوا للدراسات الإسلامية، ذلك أن موقف الأوروبي من الإسلام ليس موقف كره فى غير مبالاة فحسب - كما هو الحال فى موقفه من سائر الأديان والثقافات - بل هو كره عميق الجذور يقوم فى الأكثر على صور من صور التعصب الشديد، وهذا الكره ليس عقليا فحسب، ولكنه يصطبغ بصبغة عاطفية قوية، فقد لا تتقبل أوروبا تعاليم

(١) الدكتور محمد إبراهيم حسن: الاستشراق وأثره على الثقافة العربية، مجلة رسالة الخليج العربى، ٢٣ ص ٣٧، ٣٨، باختصار شديد.

(٢) عمر عودة الخطيب: لمحات فى الثقافة الإسلامية، ص ١٨٩ ط. مؤسسة الرسالة، بيروت

١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

الفلسفة البوذية أو الهندوكية، ولكنها تحتفظ دائما - فيما يتعلق بهذين المذهبيين - بموقف عقلي متزن، ومبنى على التفكير، إلا أنها حالما تتجه إلى الإسلام، يختل التوازن، ويأخذ الميل العاطفي بالتسرب، حتى أن أبرز المستشرقين الأوروبيين جعلوا من أنفسهم فريسة التحزب غير العلمي في كتاباتهم عن الإسلام، ويظهر في جميع بحوثهم على الأكثر، كما لو أن الإسلام لا يمكن أن يعالج على أنه موضوع بحث في البحث العلمي، بل على أنه متهم يقف أمام قضاة، إن بعض المستشرقين يمثلون دور المدعى العام الذى يحاول إثبات الجريمة، وبعضهم يقوم مقام المحامى فى الدفاع، فهو - مع اقتناعه شخصيا بإجرام موكله - لا يستطيع أكثر من أن يطلب له مع شيء من الفتور اعتبار الأسباب المخففة^(١).

وعلى الجملة فإن طريقة الاستقراء والاستنتاج التى يتبعها أكثر المستشرقين تذكرنا بوقائع دواوين التفتيش، تلك الدواوين التى أنشأتها الكنيسة الكاثوليكية لخصومها فى العصور الوسطى، أى أن تلك الطريقة لم يتفق له أبدا أن نظرت فى القرائن التاريخية بتجرد، ولكنها كانت فى كل دعوى تبدأ باستنتاج متفق عليه من قبل، قد أملاه عليها تعصبها لرأيها، ويختار المستشرقون شهودهم حسب الاستنتاج الذى يقصدون إليه مبدئيا، وإذا تعذر عليهم الاختيار العرفى للشهود عمدوا إلى اقتطاع أقسام

(١) محمد أسد: الإسلام على مفترق الطرق، ص ٥٢، ٥٣، ترجمة عمر فروخ، ط. دار العلم

للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.

من الحقيقة التي شهد بها الشهود الحاضرون، ثم فصلوها من المتن، أو تأولوا الشهادات، بروح غير علمية، من سوء القصد، من غير أن ينسبوا قيمة ما إلى عرض القضية من وجهة نظر الجانب الآخر، أى من قبل المسلمين أنفسهم.

ولست نتيجة هذه المحاكمة سوى صورة مشوهة للإسلام، وللأمور الإسلامية، تواجهنا فى جميع ما كتبه مستشرقو أوروبا، وليس ذلك قاصرا على بلد دون بلد آخر. . إنك تجده فى إنجلترا، وألمانيا، وفى روسيا، وفرنسا، وفى إيطاليا، وهولندا، وبكلمة واحدة تجده فى كل صقع يتجه المستشرقون فيه بأبصارهم نحو الإسلام، ويظهر أنهم ينتشون بشئ من السرور الخبيث حينما تعرض لهم فرصة - حقيقية أو خيالية - ينالون بها من الإسلام عن طريق النقد^(١).

إذن: الدافع الرئيسى للاستشراق ليس البحث العلمى الخالص، ولا يمكن أن يوصف بأنه دافع علمى؛ لأنه لا يحرص على الحقيقة، بل يحاول تشويهها بباعث من تعصب راسخ، عميق الجذور، يعود إلى النزعة العدوانية الحاكمة التى دفعت الأوروبيين إلى الحروب الصليبية^(٢).

ويستطيع كل باحث عن تاريخ الاستشراق أن يتبين - بما لا يدع مجالا

(١) المصدر السابق، ص ٥٣، ٥٤.

(٢) عمر عودة الخطيب: لمحات فى الثقافة الإسلامية، ١٩٠، ١٩١.

للك - أن الهدف الدينى كان وراء نشأة الاستشراق، ودعم الدراسات الإسلامية، والعربية فى أوروبا^(١).

والهدف الدينى يكاد أن يكون واضحا فى كتابات المستشرقين، وقد بدأه الرهبان الذين كان يهتمهم أن يطعنوا فى الإسلام، ويحرفوا حقائقه؛ ليثبتوا لجماهيرهم التى تخضع لزعامتهم الدينية أن الإسلام - وقد كان يومئذ الخصم الوحيد للمسيحية فى نظر الغربيين - دين لا يستحق الانتشار، وأن المسلمين قوم همج، لصوص، وسفاكو دماء، يحتمهم دينهم على الملذات الجسدية، ويبيدهم عن كل سمو روحى وخلقى، ثم اشتدت حاجتهم إلى هذا الهجوم فى العصر الحاضر، بعد أن رأوا الحضارة الحديثة، وقد زعزت أسس العقيدة عند الغربيين، وأخذت تشككهم بكل التعاليم التى كانوا يتلقونها عن رجال الدين عندهم فيما مضى، فلم يجدوا خيرا من تشديد الهجوم على الإسلام؛ لصراف أنظار الغربيين عن نقد ما عندهم من عقيدة، وكتب مقدسة^(٢).

وهناك الهدف التبشيرى الذى لم يتناسوه فى دراستهم العلمية، وهم قبل كل شىء رجال دين، فأخذوا يهدفون إلى تشويه سمعة الإسلام فى نفوس رواد ثقافتهم من المسلمين؛ لإدخال الوهن إلى العقيدة الإسلامية،

(١) الدكتور محمود حمدى زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى، ص ٧١، ط. كتاب الأمة، ١٤٠٤هـ، قطر.

(٢) عمر عودة الخطيب: لمحات فى الثقافة الإسلامية، ص ١٩١.

والتشكيك فى التراث الإسلامى، والحضارة الإسلامية، وكل ما يتصل بالإسلام، من علم، وأدب، وتراث^(١).

فالهدف الدينى للاستشراق كان يسير منذ البداية فى اتجاهات ثلاثة متوازية تعمل معا جنبا إلى جنب، وتتمثل هذه الاتجاهات فيما يأتى:

(١) محاربة الإسلام، والبحث عن نقاط ضعف فيه، وإبرازها، والزعم بأنه دين مأخوذ من النصرانية واليهودية، والانتقاص من قيمه، والحط من قدر نبيه.

(٢) حماية النصرارى من خطره، بحجب حقائقه عنهم، وإطلاعهم على ما فيه من نقائص مزعومة، وتحذيرهم من خطر الاستسلام لهذا الدين.

(٣) التبشير وتنصير المسلمين^(٢).

وإذا كان السبب الرئيسى المباشر الذى دعا الأوروبين إلى الاستشراق هو سبب دينى وتبشيرى، فإننا لا ننكر أن هناك دوافع أخرى للاستشراق، قد تكون سياسية واستعمارية، وقد تكون علمية؛ وتجارية، وشخصية، إلا أن السبب الدينى والسبب التبشيرى هما من أكثر الأسباب عدا للسلام وتحريف الحق، وتزييفا للحقائق، وخلطا بين الحق والباطل.

(١) المصدر السابق. ص ١٩١.

(٢) الدكتور محمود حمدى زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى، ص ٧٢.

فمن باعث الحقد والتعصب تحرك كثير من المستشرقين لتحقيق عدد من الأهداف الدينية والسياسية والعلمية المشبوهة، واتخذوا لذلك نهجا في التشكيك، والمغالطة، وتشويه الحقائق، والافتراء، والتزوير، وهو نهج لا يسلم منه أو من بعضه إلا عدد يسير منهم، كما اتبعوا لبلوغ ما يريدون كل وسيلة تتيح لهم بث سمومهم، ونشر أباطيلهم^(١).

وقد اتسمت بحوثهم ودراساتهم بالظواهر الآتية:

(١) إنكار أن يكون القرآن الكريم كتابا سماويا منزلا من عند الله، وحين يُفحم المستشرقين ما ورد فيه من حقائق تاريخية عن الأمم الماضية، مما يستحيل صدوره عن أمى مثل محمد ﷺ وتبطل دعواهم ببشرية القرآن الكريم، وزعمهم بأنه ليس أكثر من تعبير عن انطباع البيئة العربية في نفس الرسول، حين تبطل دعواهم التافهة هذه يزعمون ما زعمه المشركون الجاهليون في عهد الرسول ﷺ من أنه استمد هذه المعلومات من أناس كانوا يخبرونه بها، ويتخبطون في ذلك تخبطا عجيبا^(٢).

(٢) التشكيك في صحة رسالة النبي ﷺ ومصدرها الإلهي، فجمهورهم ينكر أن يكون الرسول نبيا موحى إليه من عند الله عز وجل، ويتخبطون في تفسير مظاهر الوحي التي كان يراها أصحاب النبي ﷺ أحيانا، فمن المستشرقين من يرجع ذلك إلى «صرع» كان يتتاب النبي ﷺ

(١) انظر: عمر عودة الخطيب: لمحات في الثقافة الإسلامية ص ٢٠٠.

(٢) انظر المصدر السابق ص ٢٠٠.

حيناً بعد حين، ومنهم من يفسرها بمرض نفسى، وهكذا. . كأن الله - عز وجل - لم يرسل نبياً قبله، حتى يصعب عليهم تفسير الوحي. ولما كانوا كلهم ما بين يهود ومسيحيين يعترفون بأنبياء التوراة، وهم كانوا أقل شأناً من محمد ﷺ فى التاريخ، والتأثير، والمبادئ التى نادى بها. كان إنكارهم لنبوة النبى ﷺ تعنتاً، مبعثه التعصب الدينى الذى يملأ نفوس أكثرهم، كرهبان، وقسس، ومبشرين^(١). فالموقف الغربى من رسول الإسلام ﷺ يتشكل فى إطار دينى صرف، مترع بالتعصب، والتشنج، والانفعال، ملىء بالحق، والغضب، والكرهية، تحيطه جهالة عمياء، متعمدة حيناً، وغير متعمدة أحياناً. جعلت بين القوم، وبين شخصية الرسول ﷺ سدا يصعب اختراقه، والنتيجة ليست أبحاثاً علمية أو موضوعية بحال، وإنما ذلك السيل المنهمر من الشتائم والسباب، مارسها رجال دين، من قلب الكنيسة النصرانية باتجاهاتها كافة ومارسها رجال علمانيون لا علاقة لهم بالكنيسة من قريب أو بعيد^(٢).

(٣) ويتبع إنكارهم لنبوة الرسول، وسماوية القرآن، إنكارهم أن يكون الإسلام ديناً من عند الله، وإنما هو ملفق - عندهم - من الديانتين اليهودية والمسيحية^(٣). وليس لهم فى ذلك مستند يؤيده البحث العلمى، وإنما هى

(١) راجع الدكتور مصطفى السباعى: المستشرقون مالهم وما عليهم، ص ١٨ ط. سوريا.

(٢) الدكتور عماد الدين خليل: المستشرقون والسيرة النبوية ص ١٥. ط. دار الشفاة بالدوحة

١٤١٠هـ.

(٣) الدكتور محمود حمدى زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى ص ٨٥.

ادعاءات تستند على بعض نقاط الالتقاء بين الإسلام واليهودية
والمسيحية^(١).

(٤) إخضاع النصوص الإسلامية للفكرة التي يفرضونها حسب
أهوائهم، والتحكّم فيما يرفضونه ويقبلونه من النصوص^(٢).

(٥) تحريفهم للنصوص - فى كثير من الأحيان - تحريفاً مقصوداً،
وإساءتهم فهم العبارات حين لا يجدون مجالاً للتحريف.

بهذه الروح بحث المستشرقون فى كل ما يتصل بالإسلام والمسلمين،
وقد أتاح لهم تشجيع حكوماتهم، ووفرة المصادر بين أيديهم، وتفرغهم
للدراصة، واختصاص كل واحد منهم بفن أو ناحية من نواحي ذلك
الفن، يفرغ له جهده فى حياته كلها. ساعدهم ذلك كله على أن يصبغوا
بحوثهم بصبغة علمية، وأن يحيطوا بثروة من الكتب والنصوص مالم
يحط به كثير من علماء المسلمين الذين يعيشون فى مجتمعات لا يجدون
فيها متسعاً للتفرغ لما يتفرغ له أولئك المستشرقون^(٣).

ولا يفوت الباحث أن يؤكد أن المستشرقين لم يتركوا وسيلة لنشر
أبحاثهم وبث آرائهم إلا سلكوها، ومن أهم ذلك:

(١) راجع عمر عودة الخطيب: لمحات فى الثقافة الإسلامية، ص ٢٠١.

(٢) انظر الدكتور مصطفى السباعي: السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ص ١٨٨.

(٣) الدكتور مصطفى السباعي: السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ص ١٨٩.

١ - **التدريس الجامعي**: حيث يكاد أن يكون هناك في كل جامعة أوروبية أو أمريكية معهد خاص للدراسات الإسلامية والعربية، بل يوجد في بعض الجامعات أكثر من معهد للاستشراق^(١).

٢ - **جمع المخطوطات وفهرستها**: وكان هذا العمل مبنيًا على وعي تام بقيمة هذه المخطوطات التي تحمل تراثًا غنياً في شتى مجالات العلوم^(٢)، ولم يقف المستشرقون عند جمعهم للتراث وصيانتهم له، بل بادروا إلى فهرسته - حيثما وجدوه - فهرسة علمية دقيقة^(٣).

٣ - **التحقيق والنشر**: حيث قام المستشرقون بتحقيق عدد كبير من كتب التراث الإسلامي ونشره، وقد عرفنا الكثير من كتب التراث محققاً، ومطبوعاً على أيديهم، ولم يكتفوا بالتحقيق والنشر لأهمّات الكتب، في السيرة والتاريخ، وعلوم القرآن، والتراجم، والملل والنحل، والنحو، والتفسير، بل تجاوزوا ذلك إلى التأليف في الدراسات العربية والإسلامية، حتى بلغ ما ألفوه في قرن ونصف - منذ أوائل القرن التاسع عشر، حتى منتصف القرن العشرين - ستين ألف كتاب في التاريخ، والشريعة، والفلسفة، والتصوف، وتاريخ الأدب، واللغة العربية^(٤).

(١) الدكتور محمود حمدى زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى، ص ٥٩.

(٢) المصدر السابق ص ٦١.

(٣) الدكتور سامى الصقار: دور المستشرقين في خدمة التراث الإسلامى ص ١٥٦ المنهل عدد ٤٧١.

(٤) عمر عبيد حسنة: مقدمة كتاب الأمة رقم ٢٧ ص ٢١ قطر.

٤ - الترجمة من العربية إلى اللغات الأوروبية^(١).

٥ - تأليف الكتب في موضوعات مختلفة عن الإسلام، واتجاهاته، ورسوله، وقرآنه.

٦ - إلقاء المحاضرات في الجامعات، والجمعيات العلمية^(٢).

٧ - عقد المؤتمرات، وإصدار المجلات الخاصة ببحوثهم عن الإسلام وتاريخه، ونظمه وبلاده، وشعبه، وتقوم على تنظيم هذه المؤتمرات، وإصدار هذه المجلات جمعيات استشرافية، فى عدد من البلاد الأوروبية^(٣).

٨ - عمل الموسوعات: ومن ذلك موسوعة «دائرة المعارف الإسلامية» وقد أصدرها المستشرقون بعدة لغات، ولا زالت تجدد طباعتها ويضاف إليها جديد يسيء إلى الإسلام. ولا بد أن نشير إلى الأطلس «الجغرافى التاريخى للشرقين الأدنى والأوسط» الذى هو قيد الإعداد الآن، ويتوفر على إنجازه مجموعة من المستشرقين فى ألمانيا الاتحادية، ويشمل الأقطار الممتدة من السودان غربا، إلى أفغانستان شرقا. ومن جنوب بلاد العرب إلى البحر الأسود فى الشمال، وخرائطه لا تتناول المواضع الجغرافية والتاريخية بالمعنى التقليدى، بل تتجاوز إلى مواضع لم يسبق لأحد أن

(١) الدكتور محمود حمدى زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى ص ٥٩.

(٢) عمر عودة الخطيب: لمحات فى الثقافة الإسلامية ص ٢٠٦.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٠٨.

تناولها فى الأطالس، مثل المدارس الفقهيّة، والفنن السياسيّة، وبعض مظاهر الاتصال، وأماكن العبادة، وتوزيع السكان، وسوف ينتهى فى أواسط التسعينات^(١).

ولاشك أن الاستشراق كان - ولا يزال - يشكل الجذور الحقيقيّة، التى تقدم المدد للتنصير والاستعمار، والعمالة الثقافيّة، ويغذى عملية الصراع الفكرى، ويشكل المناخ الملائم لفرض السيطرة الاستعمارية على الشرق الإسلامى، وإخضاع شعوبه.

فالاستشراق هو المنجم، والمصنع الفكرى، الذى يمد المنصرين والمستعمرين، وأدوات الغزو الفكرى بالمواد التى يسوقونها فى العالم الإسلامى؛ لتحطيم عقيدته، وتخريب عالم أفكاره، والقضاء على شخصيته الحضارية التاريخية^(٢).

لقد تطورت الوسائل، وتعددت طرق المواجهة الثقافيّة الحديثة، ويكفى أن نشير إلى مراكز البحوث والدراسات، سواء أكانت مستقلة أم أقساما للدراسات الشرقية فى الجامعات العلمية، وما يوضع تحت تصرفها من الإمكانيات المادية، أو المبتكرات العلمية، والاختصاصات الدراسية، تمثل الصور الأحدث فى تطور الاستشراق، حيث تمكن أصحاب القرار من الاطلاع والرصد لما يجرى فى العالم يوميا^(٣).

(١) انظر عمر عبيد حسنة: مقدمة كتاب الأمة رقم ٢٧ ص ٢٢.

(٢) المصدر السابق، عدد ٢٧، ص ٨.

(٣) المصدر السابق، عدد ٢٧، ص ٩.

ففى القارة الأمريكية وحدها حوالى عشرة آلاف مركز للبحوث والدراسات، القسم الكبير منها متخصص بشئون العالم الإسلامى، ووظيفة هذه المراكز: تتبع ورصد كل ما يجرى فى العالم، ومن ثم دراسته وتحليله مقارنة مع أصوله التراثية التاريخية، ومنابعه العقديّة، ثم مناقشة ذلك مع صانعى القرار؛ لتسبى على أساسه الخطط، وتوضع الاستراتيجيات الثقافية، والسياسية، وتحدد وسائل التنفيذ^(١).

وإن الباحث فى مؤسسات الاستشراق، ووسائلها المختلفة، يجد أنها استطاعت أن تؤثر فى العقلية الإسلامية، فهذه دائرة المعارف الإسلامية تعد أكبر مصدر للمعلومات، والحقائق الإسلامية، وأثمن زخيرة لها وتعتبرها بعض البلاد الإسلامية اليوم أساساً للمعلومات الإسلامية، وتقوم بترجمتها إلى لغاتها بنصها وروحها^(٢).

ولقد نجحت العقلية الأوروبية الاستشراقية، فى فرض شكليتها وآلياتها على التحقيق، والتقويم، والنقد والسيطرة على مصادر التراث العربى الإسلامى. ويمكن القول بأن معظم الكتابات العربية المعالجة للتراث قد سارت على هذا النهج فى التاريخ، والأدب وغيره. . ولم تتجاوزة إلا فى القليل النادر، وانتهت إلى إيجاد ركائز عربية معبرة عنها، ومتبينة لوجهة نظرها، ومدافعة عن المواقع الثقافية التى احتلتها، حتى فى الجامعات،

(١) المصدر السابق عدد ٢٧، ص ٩.

(٢) الشيخ أبو الحسن الندوى: الإسلام والمستشرقون، مجلة المنهل، عدد ٤٧١ ص ٢٦.

والمؤسسات العلمية لا يزال الخضوع والاحتكام للقوالب الفكرية التي اكتسبها بعض المثقفين العرب، من الجامعات الأوروبية^(١).

وبجانب كل هذا فإن الاستشراق يذهب إلى محاولة إلغاء النسق الفكرى الإسلامى، ومحاولة تشكيل العقل السليم، وفق النسق الغربى الأوروبى، وإنجاب تلامذة من أبناء العالم الإسلامى؛ لممارسة هذا الدور والتقدم باتجاه الجامعات والمعاهد، ومراكز الدراسات، والإعلام، والتربية، فى العالم الإسلامى، لجعل الفكر الغربى والنسق الغربى هو المنهج، والمرجع، والمصدر، والكتاب^(٢).

ومما يلحظه الباحث بوضوح: أن عمليات الاستشراق والتغريب لم تستسلم، ولم تلق السلاح. . لكن لما أعيها السعى، فبدل أن تقر بفساد نظرياتها، وطروحاتها، وعدم إمكانية القبول لها فى العالم الإسلامى، تحاول اليوم أن تعتبر أن المشكلة والعلة فى بنية العقل المسلم أصلاً؛ لتأتى على البنيان الإسلامى من القواعد، وترسب فى النفوس أن السبب فى التخلف، والعجز، والتخاذل الثقافى، وعدم القدرة على الإبداع، وقبول الفكر الغربى، هو فى بنية هذا العقل، وتكونه، وميراثه الثقافى.

فهو عقل مولع بالجزئية، وعاجز عن النظرة الكلية للأشياء، وهو عاطفى يحب الإثارة والانفعال، ويعجز عن الفعل، وهو محكوم أيضاً

(١) الأستاذ عمر عبيد حسنة، مقدمة كتاب الأمة العدد رقم ٢٧ ص ١٤.

(٢) المصدر السابق، ص ١٦.

بموروث ثقافى لا يستطيع الفكاك منه . فهو لا يفكر بطلاقة، وحرية؛ لأنه محكوم بوحي مسبق، وهو يقوم على منهج التفكير الاستنتاجى، ويعجز عن التفكير الاستقرائى، وهو معجب بالمنهج البيانى، وعاجز عن المنهج البرهانى، وهو يخلط بين الواقع المعاش، والمثال الخيالى، وصاحبه يحب الثأر، ويغرق فى الملمات، وأن الإسلام الذى يكون هذا العقل هو دين أمر ونهى، وزجر وكبت للحرية، وإلغاء للاجتهاد، الأمر الذى أدى إلى التقليد وفقدان الشخصية، والقدرة على الإبداع^(١).

ولابد أن نعترف بأن الاستشراق يستمد قوته من ضعفنا، ووجوده نفسه مشروط بعجز العالم الإسلامى عن معرفة ذاته، فالاستشراق فى حد ذاته كان دليل وصاية فكرية، ويوم أن يعى العالم الإسلامى ذاته، وينهض من عجزه، ويلقى عن كاهله أثقال التخلف الفكرى والحضارى، يومها سيجد الاستشراق نفسه فى أزمة وخاصة الاستشراق المشتغل بالإسلام، ويومها لن يجد الجمهور الذى يخاطبه، لا فى أوروبا، ولا فى العالم الإسلامى. ولا يجوز لنا أن ننتظر من غيرنا - أيا كان هذا - أن يساعدنا على النهوض من كبوتنا^(٢).

وإذا كان علينا أن نضع عن أنفسنا أغلال الوصاية الفكرية، فإن علينا

(١) المصدر السابق، ص ٢٧، ٢٨.

(٢) الدكتور محمود حمدى زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى، ص ١٢٧،

من ناحية أخرى، أن نتحرر من عقدة التخلف التي تسيطر علينا في جميع مناحي حياتنا، والتي تسد علينا منافذ الأمل، في الخروج من أزمتنا، فقد تحررنا من الاستعمار العسكري، ولكننا لم نتحرر من القابلية للاستعمار، ولهذا فإن نظرتنا لكل ما يأتي من الغرب هي نظرة التقدير، والإكبار، حتى وإن كان هذا الذي يرد إلينا متمثلاً في أزياء غريبة عن أذواقنا، وتقاليدنا^(١).

وحتى نكون في مستوى الحوار الفكري، والتبادل المعرفي، ونوقف فعلا الغزو الفكري والاختراق الاستشراقي، لا بد أن نكون قادرين على امتلاك الشوكة الفعلية.. أن نكون قادرين على الإنتاج الفعلي لمواد ثقافية تمثل ثقافتنا، وتأتي استجابة لها، وتغري الناس بها، وبذلك وحده نكون في مستوى الحوار، والتبادل المعرفي، فالمواجهة لا تكون بإدانة الآخرين، والنظر إلى الخارج دائما، وإنما تبدأ حقيقة من النظر إلى الداخل أولا للملء الفراغ، بعمل بنائي مستمر، وتحصين الذات^(٢).

وقد لا يكون المرء مجانباً للصواب إذا قال: إننا إذا لم نتصد للتيار الاستشراقي بكل قوة، فسوف نتعرض للانسلاخ والذوبان لا محالة، والمعركة بين الاستشراق والإسلام معركة فكرية هائلة جند لها المستشرقون كل المعاول التي تحاول أن تهزم المسلمين، وتبعدهم عن إسلامهم.

(١) المصدر السابق، ص ١٢٨.

(٢) عمر عبيد حسنة، مقدمة كتاب الأمة، العدد رقم ٢٧، ص ٢٩.

وإن الإنسان الذى يتابع النشاط الاستشراقى قد يلحظ بوضوح أن هذا النشاط يمثل قمة التحدى للفكر الإسلامى، وقد يكون معروفا لدى الباحثين: «أن التيارات الفكرية الأجنبية القديمة - التى كانت تمثل تحديا للإسلام، والفكر الإسلامى الأصيل، فى عصور الإسلام الزاهرة - كانت حافزا للمسلمين، فى تلك الأيام الخوالى، للوقوف أمامها بقوة وصلابة»^(١).

وقد رأى الإمام الغزالى - فى عصره - أن التيارات الفلسفية يتردد صداها فى الأرجاء، وأنها تصول، وتجول، فى تحد سافر للفكر الإسلامى، والمسلمين، فلم يقف الغزالى موقف المتفرج، ولم يسب، ويشتم، ويصرخ، ويولول، ولم يرغب أن يترك الأمر، ويقول: لا شأن لى به، ولكنه عزم على خوض المعركة، فأعد العدة، واتخذ لها الأدوات من العلم والمعرفة بما عند هؤلاء.

وقد رأى أن يتقن الفلسفة، ويتفرغ لقضاياها، ويتعرف على مقاصد الفلاسفة، واستطاع فى دقة وإتقان أن يخرج كتابه: «مقاصد الفلاسفة» وكان ما قام به هو الخطوة الأولى فى منهج المواجهة للفكر الفلسفى، ثم جاءت الخطوة الثانية بعد ذلك، بالكشف عما فى «مقاصد الفلاسفة» من تناقض للفكر، ومخالفة للمنطق والعقل، وتعثر فى المقاصد، فكان كتاب «تهافت الفلاسفة» يمثل قمة المواجهة.

(١) الدكتور محمود حمدى زقزوق: الاستشراق والحلفية الفكرية للصراع الحضارى، ص ١٢٤.

واستطاع بهذا المنهج النقدي أن يواجه المعركة، ويخوض غمارها في قوة، ودقة. ويقول الغزالي معبرا عن ذلك المنهج: «ثم إنى ابتدأت - بعد الفراغ من علم الكلام - بعلم الفلسفة، وعلمت يقينا أنه لا يقف على فساد نوع من العلوم من لا يقف على منتهى ذلك العلم، حتى يساوى أعلمهم في أهل ذلك العلم، ثم يزيد عليه، ويجاوز درجته، فيطلع على ما لم يطلع عليه صاحب العلم، من غوره وغائله، وإذ ذاك يمكن أن يكون ما يدعيه من فساده حقا، ولم أر أحدا من علماء الإسلام، صرف عنايته وهمته إلى ذلك»^(١).

وإذا كان الغزالي قد استطاع أن يواجه الفكر الفلسفي في عصره، فإن الأمر بالنسبة للاستشراق يحتاج إلى جهود أفراد ومؤسسات، فمكتبات العالم مليئة بإنتاج المستشرقين، وبشتى اللغات الإنسانية، وهناك عشرات المجالات، ومئات المؤسسات التي ترعى الاستشراق، وتعمل لخدمة المستشرقين، وهناك أيضا آلاف العلماء، والباحثين، من المستشرقين، الذين يتفرغون لبحوثهم ودراساتهم، وهناك المؤتمرات الاستشراقية العالمية، التي تعقد حسب الحاجة في العواصم العالمية.

ولقد كان لحركات الفكر الاستشراقي منذ القرن الثامن عشر قوة دفع، ورواج واستقطاب، أثارت اهتمام رجال الفكر الإسلامي، بما كتبه

(١) الإمام الغزالي: المنقذ من الضلال، ص ٩٢، تقديم الدكتور عبد الحلیم محمود، ط. دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٨٥م.

المستشرقون عن الإسلام فى الكتب، والمجلات، والموسوعات، وعن مصدريه الأساسيين: القرآن الكريم، والسنة النبوية، وعن النبى الذى بعثه الله بهذا الدين الحنيف^(١)، ومواجهة التحديات الاستشراقية ضرورة لا بد منها، إن كنا نريد الحفاظ على عقائدنا التى جاء بها الإسلام، وكنا نريد الحفاظ على ذاتينا، وشخصيتنا، ومواجهة الاستشراق فى مجال العقيدة الإسلامية يحتاج - كغيره - إلى بذل جهود صادقة، ومخلصة لرد هذه الطعون المفتراة، حتى لا يأتى زمن نجد أنفسنا فيه بالسنة غير ألسنتنا، نردد ما يقوله المستشرقون دون وعى أو دون أن نحس أننا مسلمون لنا عقائدنا وشخصيتنا.

ومنهج نقد الاستشراق فى مجال العقيدة لا بد أن يقوم - من وجهة نظرنا - على الأصول الأساسية التالية:

أولاً: استيعاب شامل للإنتاج الاستشراقى فى مجال العقائد الإسلامية، وهذا الاستيعاب لا بد منه، ومن حق الأمة الإسلامية أن يعرف أبنائها ما يقوله الآخرون عنها فى عقائدها وغير عقائدها، ليكون أبناء الأمة على بينة مما يقوله - أو يتقوله - هؤلاء المستشرقون .

ويلزم هذا الاستيعاب الشامل تحقيق الأمور التالية:

(١) الدكتور التهامى نقرة: القرآن والمستشرقون، ص ٢١، من كتاب «مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية والإسلامية - الجزء الأول، ط مكتب التربية العربى لدول الخليج، الرياض ١٩٨٥ م.

(١) القيام بحصر شامل لكتابات المستشرقين فى مجالات عقائد المسلمين فى القرنين التاسع عشر، والعشرين، بصفة أساسية، باللغات: الإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، والأسبانية، والإيطالية، والروسية، ويشمل هذا الحصر: الكتب، والمجلات، والدوريات.

والقيام بعملية حصر هذه الأعمال الاستشراقية فى مجال العقائد يحتاج إلى خبراء وعلماء مسلمين متخصصين، ويحتاج إلى عدد من المساعدين فى مجال كل لغة نأخذ منها.

(٢) لابد من توفير كل الأعمال الاستشراقية المشار إليها، عن طريق الشراء، إذا كانت متوفرة، أو عن طريق التصوير، إذا لم يمكن شراؤها، وتشكل هذه الأعمال مكتبة استشراقية تكون تحت أيدى الخبراء والعلماء.

(٣) يقوم جهاز متعاون من الخبراء فى اللغات المختلفة بتحضير المادة وتصنيف الموضوعات، وضم المادة التى يتكرر الحديث عنها فى لغات مختلفة تحت موضوع واحد.

(٤) تقدم المادة للعلماء الذين سيقومون بإعداد النقود العلمية، ويراعى عند تقديم المادة للعلماء أن تترجم لهم الأفكار الأساسية للقضايا المعروضة؛ ليكون عند العلماء تصور شامل لكل ما قيل حول القضية المطروحة، وحتى يغطى التناول للموضوع وجهات النظر التى قيلت فيه^(١).

(٥) تذكر مع المادة التى تقدم للعلماء أسماء المستشرقين الذين تناولوها

(١) الدكتور محمود حمدى رزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى، ص ١٣٤، بتصرف وإضافة واختصار.

وأزمنتهم، وبيئاتهم، والدوافع وراء مقولاتهم.

(٦) العمل على بيان المصادر، التي اعتمد عليها المستشرقون في كتاباتهم عن عقائد المسلمين، وهل هي مصادر إسلامية أصيلة في الموضوع أم مصادر غير إسلامية؛ لأن بعض المستشرقين يعتمد على ما ذكره المستشرقون السابقون، كمصدر أساسي، دون الرجوع إلى كتب المسلمين.

(٧) بيان المنهج الذي التزم به هؤلاء الكاتبون في العقائد؛ لأن بيان مناهج المستشرقين سوف يكشف لنا عن أخطاء جسيمة في المنهج والنتائج، والدارس لمقولات المستشرقين في العقائد الإسلامية يجد في هذه الكتابة تغريبا عن المسلمات، وخروجا صريحا على البدايات، وما يمكن اعتباره محاولات متعمدة لإصابة هذه المسلمات والبدايات بالجروح والكسور، وهي لن تفعل فعلها في يقين المسلم إلا في حالات معينة، بينما نجدها تدفعه في أغلب الحالات وأعمها إلى الاشمئزاز، والنفور.

هذا مع أن معالجة واقعة تمتد جذورها إلى عالم الغيب، وترتبط أسبابها بالسماء، ويكون فيها الوحي همزة وصل مباشرة بين الله سبحانه ورسوله الكريم، ويتربى في ظلها المتمون على عين الله ورسوله ليكون تعبيراً حياً عن إيمانهم، وقدوة حسنة للقادمين من بعده، مواقع كهذه لا يمكن بحال أن تعامل كما تعامل الجزيئات والذرات والعناصر في مختبر للكيمياء. أو كما تعامل الخطوط والزوايا والمساحات على تصاميم المهندسين، بل ولا كما تعامل الوقائع التاريخية التي لا ترتبط بأى بعد

دينى أصيل^(١).

إننا هنا بمواجهة تجربة من نوع خاص، وشبكة من العوامل والمؤثرات تند عن حدود مملكة العقل، وتستعصى على التحليل المنطقى الاعتيادى المؤلف، ومن ثم فإن محاولة قسرها على الخضوع لمقولات العقل الصرف، ومعطيات المنطق المتوارثة، لا يقود إلى نتائج خاطئة حيناً ولا تستعصى عليه بعض الظواهر حيناً آخر فحسب، بل إنه يقوم بما يمكن اعتباره جريمة قتل بشكل من الأشكال، أو محاولة لتفحص الجسد البشرى، كما لو كان فى حالة سكون مطلق بعيداً عن تأثيرات الروح وتعقيدات الحياة^(٢).

وإن الدين، والغيب، والروح، والوحى، والقضاء، والقدر، وما اتصل بهذا من أمور العقائد، ليس بمقدور الحس أو العقل أن يدلى بكلمته فيها إلا بمقدار.. وتبقى المساحات الأكثر عمقا وامتدادا بعيدة عن حدود عمل الحواس وتحليلات العقل والمنطق.

ثانياً: نقد المنهج الذى التزم به المستشرقون فى معالجة قضايا العقيدة الإسلامية، ونقد المنهج هو خطوة حاسمة وضرورية قبل البدء فى نقد ما جاء به من أخطاء وافتراعات فى مجال العقيدة؛ لأن: «مناقشة أى من المستشرقين على مستوى التفاصيل والجزئيات العقدية لا تغنى شيئاً؛ لأنها

(١) الدكتور عماد الدين خليل: المستشرقون والسيرة النبوية، ص ٦، ط. دار الشفافة بالدوحة

١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

(٢) المصدر السابق، ص ٦.

ستكون بمثابة نقد موقوت يتحرك على السطح، ويستهلك نفسه في الجزئيات، دون أن يبحث في الجذور العميقة التي تظل تثبت الشوك والحسك.

والجذور العميقة هي المنهج الخاطيء الذى تقوم عليه أبحاث هؤلاء المستشرقين، فإذا استطعنا أن نضع أيدينا على عيوب المنهج وشروخه استطعنا معرفة المنبع الذى يتمخض عنه تيار الأخطاء الموضوعية، وخلخلة الأسس التى جاءت بهذه الثمار المرة، واقتلاعها^(١).

ثالثا: نقد الأخطاء التى وقع فيها المستشرقون فى مجال العقيدة. وعملية نقد هذه الأخطاء، والمزاعم، تقتضى منا عرض الشبهات، والمقولات، ونقدها نقدا علميا، بعيدا عن النزعات الهجومية، حتى يكون لهذا العمل العلمى أثره الإيجابى لدى المثقفين من المسلمين، وغير المسلمين. . وحتى يكون كذلك دافعا للمستشرقين إلى إعادة النظر فى أقوالهم، وعونا لهم على تصحيح اتجاهاتهم، وفى النهاية يكون هذا العمل بمثابة تعريف بالإسلام، لكل راغب فى التعرف عليه^(٢). ولا يخفى أن العمل العلمى القائم على النقد السليم، يحمل العمل البنائى الذى يأخذ الناس جميعا إلى العلم، والمعرفة. والعملية النقدية الهادفة جديرة بالممارسة، والمتابعة، لإثراء الفكر الإنسانى بكل حق، وبكل مفيد. .

(١) المصدر السابق، ص ٨.

(٢) الدكتور محمود حمدى زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى، ص ١٣٢.

والنقد المطلوب لشبهات وأخطاء المستشرقين لا بد وأن يتجاوز الدفاع المتشنج إزاء كل ما طرحه أولئك الذين تخصصوا فى الاستشراق .

رابعاً: إبراز ما ردهه بعض المستشرقين فى نقدهم لمستشرقين آخرين، فإن هذه النقود العلمية التى ذكرها المستشرقون لها دلائلها، وقد تكون أبلغ فى باب النقد، والتصدى، والمواجهة، وما أكثر ما جاء عن المستشرقين فى باب النقد. إن ما ذكره بعض المستشرقين فى هذا الباب يشكل ثروة مفيدة، وليس من الكياسة أن نبتعد عن المنصفين .

خامساً: إثبات أن المصادر التى اعتمد عليها رجال الاستشراق غير أصيلة فى الموضوع. وقد رأى الباحثون أن المستشرقين قد يرجعون إلى آراء مستشرقين سابقين قد أعماهم التعصب، فنفتوا سموهم فيما كتبوه، وبعضهم يرجع إلى مصادر لا تتصل بالعميقة الإسلامية من قريب أو بعيد. وبعضهم يعتمد على كتاب ألف ليلة وليلة، وكليلة ودمنة، وغيرهما من الكتب التى تجرى مجراها.

سادساً: يحسن أن تحاط النقود ببيان ما وقع فيه بعض المستشرقين من أخطاء علمية، أو لغوية، أو تاريخية، عن جهل، أو عن سوء فهم وضيق نظر، أو عن شطط فى الافتراضات^(١).

سابعاً: أن تقوم النقود، التى توجه إلى الاستشراق - فى مجال العميقة على منهج يضم الأدلة العقلية، والأدلة النقلية؛ لأن نقد الاستشراق هو

(١) الدكتور التهامى النقرة: القرآن والمستشرقون «مناهج المستشرقين» ج ١ ص ٢٢ .

بالدرجة الأولى للمسلمين، حتى لا يخذعوا بهذه البحوث والدراسات التي تصل عن طريق الاستشراق، وحتى لا ينهروا بهذا التيار.

كما أن نقد الاستشراق هو للمستشرقين، وقد لا يعترفون بالدليل النقلى، فكان لا بد من الدليل العقلى المقنع الذى يجعلهم يفكرون كثيرا قبل أن يقدموا على تناول عقائد المسلمين بغير المراد.

ثامنا: أن تكون النقود التي توجه إلى الاستشراق فى مجال العقيدة، شاملة لآراء السلف والخلف فى مسائل العقيدة، من الأسماء، والصفات، والتشبيه والتأويل، والقضاء، والقدر، والحرية، والجبرية، وقضية الألوهية، والإسلام، والإيمان، والنبوة، والرسالة، والوحى، والمعجزة، والبعث، وما جرى مجرى هذا من مسائل العقيدة.

ومواجهة الفكر الاستشراقى فى مجال العقيدة بما ذكره السلف والخلف فيه تضيق وحصار لآراء المستشرقين.

تاسعا: لا بد من تفرغ عدد كبير من علماء الأمة الإسلامية - المتخصصين، والذين لهم اتصال بالبحوث والدراسات الاستشراقية - للقيام بهذه النقود العلمية واستخراجها على ما ينبغى.

عاشرا: أن تتوفر لهذا العمل الجدية، والجهود المخلصة، لتتمكن الأمة من المواجهة، والعمل.

وهناك أعمال أخرى تتصل بمنهج نقد الاستشراق فى مجال العقيدة،

وهى ضرورية ليكون هناك تكامل وحسم فى المعالجة .

ونذكر من تلك الأعمال ما يلى :

١ - أن يصاحب النقود التى توجه للاستشراق فى مجال العقيدة عمل موسوعة الرد على المستشرقين، وموسوعة الرد شاملة لكل ما تناوله الاستشراق، وفى هذا يقول الدكتور محمود حمدى زقزوق: «إن المواجهة الفكرية الجادة هى الطريق الصحيح لمواجهة أية تيارات مناوئة للإسلام والمسلمين، ومن أجل ذلك ينبغى أن ننظر إلى حركة الاستشراق بكل جدية، ونأخذ فى الحسبان أن لها آثارا كبيرة على قطاعات عريضة من المثقفين فى العالم الإسلامى، وفى العالم الغربى على السواء، ولهذا لا بد من التوفر على دراسة الاستشراق دراسة عميقة. ولما كان الفكر الاستشراقى مكتوبا بشتى اللغات الحية، ومنتشرا انتشارا واسعا على مستوى عالمى، فمواجهته لا بد أن تكون على المستوى العالمى نفسه^(١).

وقد دعت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم فى القاهرة، فى نهاية عام ١٩٧٩م إلى ندوة لمناقشة موضوع إعداد «موسوعة للرد على المستشرقين» وقد حضر الندوة عدد يزيد على عشرين من العلماء والمفكرين المهتمين بهذا الموضوع، وقد أعدت التقارير وقضى الأمر ونامت الفكرة^(٢).

ولا يفوت الباحث أن يذكر أن: موسوعة الرد على المستشرقين تختلف

(١) الدكتور محمود حمدى زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى، ص ١٣١.

(٢) المصدر السابق، ص ١٣١.

عن «منهج نقد الاستشراق فى مجال العقيدة والسنة وغيرهما» لأن الموسوعة شاملة للفكر الإسلامى .

٢ - لابد من عمل دائرة معارف إسلامية، يقوم بعملها العلماء المسلمون «مشروع إصدار دائرة معارف إسلامية من بين الأولويات العلمية الملحة، فلا يجوز أن نظل نقنات فكريا من دائرة المعارف الإسلامية التى قام بإعدادها المستشرقون قبل الحرب العالمية الثانية. فقد تجاوزها المستشرقون وانتهوا منذ بضع سنوات من إصدار دائرة معارف إسلامية جديدة، وواجبنا نحن المسلمين أن نقوم بإصدار دائرة معارف إسلامية باللغة العربية، واللغات الأوروبية، تقف على الأقل فى مستوى دائرة المعارف الإسلامية للمستشرقين، تخطيطا وتنظيما، وتتفوق عليها علميا، وتنقل وجهة النظر الإسلامية فى شتى فروع الدراسات الإسلامية والعربية إلى المسلمين وغير المسلمين على السواء»^(١).

وقد لا يكون المرء مجانباً للصواب إذا عرف أن تقاعس المسلمين حتى اليوم عن عمل «دائرة معارف إسلامية» يدل على الضعف الذى يدب فى النفوس، وأن مؤتمرات العلماء المسلمين، وقراراتهم تمثل مظهرة صاخبة، هاجت وماجت، ثم نامت . . . إن مشكلتنا أننا نتكلم أكثر مما نعمل، وإن شئت فقل: إننا نتكلم ولا نعمل .

(١) انظر المصدر السابق ص ١٤٢ .

ومهمتنا - لنواجه الاستشراق - أن نعمل على إصدار عدة موسوعات ودوائر معارف في التاريخ، والعقائد، والأدب، والأخلاق، والفقه، والحديث، ومختلف العلوم، والفنون؛ لأن المعركة فكرية قوامها انتشار الكلمة.

٣ - من الضروري لمؤازرة منهج نقد الاستشراق في مجال العقيدة أن تكون هناك دوريات، ومجلات، ونشرات بمختلف اللغات تتناول ما يتصل بمواجهة الاستشراق؛ لمحاصرة الفكر الاستشراقي، وصد هجومه، والوقوف أمام زحفه.

٤ - من الضروري لنجاح التصدي لسوء ما جاء عن بعض المستشرقين أن تكون هناك مؤسسات علمية، وأكاديمية، ودعوية، ترعى شئون النقد، والمواجهة وإعداد الدوريات، والمجلات والمؤتمرات.

وفي إمكان الأمة الإسلامية أن تُوجد الهيئات العلمية العالمية، وتهيء الأجواء المناسبة، التي تكفل نجاح المواجهة والتصدي للزحف الاستشراقي، وذلك أن أمتنا الإسلامية جباها الله - سبحانه وتعالى - بأعظم النعم، كما بها من الجامعات ما يمكن من وجود آلاف العلماء المتخصصين في مختلف العلوم والفنون.

٥ - أن نمد يد الصداقة والمودة للهيئات الاستشراقية العالمية، وأن يكون لنا دور بالمشاركة في المؤتمرات الاستشراقية التي تعقد في مختلف العواصم العالمية.

وهذه المشاركة لها أثر إيجابي في نفوس المستشرقين؛ فقد تجعل المستشرقين يشعرون بأننا لسنا منعزلين، وأنا نريد أن نفهمهم من نحن، ومن نكون؟ ومن الكياسة أن ندعو بعض المستشرقين المنصفين لفكرنا وترائنا إلى مؤتمراتنا وندواتنا.

٦ - أن تقيم كل جامعة في مجتمعات الأمة الإسلامية معهدا للدراسات الاستشراقية، يمنح الدارسون في هذا المعهد درجات علمية عالمية، وقد لا يتصور الإنسان أن الأمة الإسلامية وقد تعددت جامعاتها المختلفة، لم تعمل بعد على إنشاء معاهد أو أقسام للدراسات الاستشراقية، في حين أننا نجد أنه ما من جامعة في أوروبا أو أمريكا إلا وملحق بها معاهد وأقسام لدراسة الإسلام والمسلمين، حتى أصبحنا بحركاتنا وسكناتنا واقعيين تحت سيطرة أقوال وآراء الاستشراق.

٧ - أن تعمل كل جامعة، وكل معهد، وكل مؤسسة على تفرغ عدد معين من أساتذتها للدراسات الاستشراقية، في مواضيع محددة.

٨ - أن يكون هناك تنسيق وتخطيط بين المؤسسات الإسلامية، وتكامل في الموضوعات المطروحة.

وبهذه الأعمال العلمية نستطيع أن نتصدى للتحديات التي تواجه الأمة الإسلامية، وبهذه الأعمال نستطيع أن نكشف في وضوح أن جهود المستشرقين لا تستند على حجة، ولا عقل، ولا منطق، بل هي جهود مغرضة، الهدف منها النيل من الإسلام وأهله، وقد اتسمت هذه الجهود

بالكذب والافتراء، والمغالطة.

ومن يتصفح كتب المستشرقين وموسوعاتهم ودوائرهم.. يجد مئات من الاتهامات والأباطيل، وآلاف التخريجات التي لا صلة لها بالعلم.

· وإذا كان المسلمون يرون أنهم في صحوة إسلامية، ووعى إسلامي، فإن من مبادئ الصحوة الإسلامية وأولياتها: مواجهة الاستشراق والمستشرقين، حتى لا يأتي وقت تكون فيه هذه الصحوات إرادة استشراقية، وتجارب مرادة، تجعل المسلمين يهتمون بالأشكال والقشور، وكل ما من شأنه أن يبعث على الجمود، والتأخر، والتخلف.

إن أمتنا تتطلع إلى غد مشرق، والتطلع يحتاج إلى علم وعمل وجهود بناء تكون علامات مضيئة في الطريق.

المصادر والمراجع

- ١ - ابن نبى
مالك
الإرشاد، بيروت ١٩٦٩م.
لسان العرب. ط بيروت.
 - ٢ - ابن منظور
المصرى الأفريقى
 - ٣ - الأعظمى
سعيد
 - ٤ - أسد
محمد
 - ٥ - البشير
الشيخ أحمد
 - ٦ - البهى
الدكتور محمد البهى
 - ٧ - البهى
الدكتور محمد
 - ٨ - الجندى
أنور
 - ٩ - الجندى
أنور
- إنتاج المستشرقين وأثره فى الفكر الإسلامى الحديث ط. دار
الإرشاد، بيروت ١٩٦٩م.
لسان العرب. ط بيروت.
- الإسلام والمستشرقون لماذا؟
كتاب الإسلام والمستشرقون ط عالم المعرفة ١٤٠٥هـ.
الإسلام على مفترق الطرق.
ط دار العلم للملايين ١٩٨٧ بيروت
الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام.
ط بيروت.
المبشرون والمستشرقون،
حولية كلية الدعوة بالأزهر ١٤٠٦هـ.
الفكر الإسلامى الحديث.
ط دار الفكر، بيروت.
الإسلام فى وجه التغريب.
ط دار الاعتصام. القاهرة.
إطار إسلامى للفكر المعاصر.
ط المكتب الإسلامى ١٩٨٠، بيروت.

- ١٠ - الجندى
أنور
- ١١ - حسن
الدكتور محمد إبراهيم
- ١٢ - حسين
الدكتور محمد محمد
- ١٣ - الخربوطلي
على حسن
- ١٤ - الخطيب
عمر عودة
- ١٥ - خليل
الدكتور عماد الدين
- ١٦ - الديب
الدكتور عبد العظيم
- ١٧ - رضا
الشيخ أحمد
- ١٨ - رودونسون
مكسيم
- ١٩ - زقزوق
الدكتور محمود حمدي
- ٢٠ - السباعي
الدكتور مصطفى
- ٢١ - السباعي
الدكتور مصطفى
- شبهات التغريب فى غزو الفكر الإسلامى .
ط المكتب الإسلامى ١٤٠٣هـ .
- الاستشراق وأثره على الثقافة العربية .
مجلة رسالة الخليج ، عدد رقم ٢٣ ط الرياض . السعودية .
الإسلام والحضارة الغربية .
ط مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٢هـ .
- المستشرقون والتاريخ الإسلامى .
ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٧٦م .
لمحات فى الثقافة الإسلامية .
ط مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٧م .
- المستشرقون والسيرة النبوية .
ط دار الثقافة . قطر ١٤١٠هـ .
- المستشرقون والتاريخ .
مجلة البعث الإسلامى ١٤٠٢هـ ، الهند .
معجم متن اللغة .
ط . دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٥٨م .
- «تراث الإسلام»
سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٧٨م .
- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى ،
ط . كتاب الأمة ، قطر ١٤٠٤هـ .
- السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى .
ط المكتب الإسلامى ، بيروت ١٣٩٨هـ .
- الاستشراق والمستشرقون .
ط المكتب الإسلامى ، بيروت ١٩٧٥م .

- ٢٢ - السايح
العلاقة بين الاستشراق والتبشير،
الدكتور أحمد عبد الرحيم حولية كلية أصول الدين بالمنوفية ١٩٨٩م.
- ٢٣ - السايح
هذا هو الإسلام.
الدكتور أحمد عبد الرحيم ط دار الثقافة، الدوحة ١٩٨٩م.
- ٢٤ - سمايلوفتش
فلسفة الاستشراق.
الدكتور أحمد ط دار المعارف بمصر.
- ٢٥ - ضياء الدين
الاستشراق، مجلة كلية الشريعة.
الدكتور أحمد مكة المكرمة ١٤٠١هـ.
- ٢٦ - طه
من افتراءات المستشرقين على أحاديث التوحيد.
الدكتورة عزية مجلة الشريعة. ط. الكويت ١٤٠٩هـ.
- ٢٧ - الطهطاوى
التبشير والاستشراق أحقاد وحملات.
المستشار محمد عزت ط مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ١٣٩٧هـ.
- ٢٨ - العقاد
أثر العرب فى الحضارة الأوروبية.
عباس العقاد ط دار المعارف بمصر
- ٢٩ - العفيفى
المستشرقون ط.
نجيب دار المعارف بمصر.
- ٣٠ - فروخ
الاستشراق فى نطاق العلم
الدكتور عمر وفى نطاق السياسة كتاب (المستشرقون والإسلام) الهند.
- ٣١ - الفيروزابادى
القاموس المحيط
محمد يعقوب ط القاهرة.
- ٣٢ - القارى
المستشرقون فى الميزان «محاضرات
الشيخ عبد العزيز الجامعة الإسلامية» المدينة المنورة ١٣٩٣هـ.
- ٣٣ - الكيلانى
الإسلام والقوة المضادة.
الدكتور نجيب ط مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٠هـ.

- ٣٤ - اللبان
 الشيخ إبراهيم عبد المجيد
 ط الأزهر ١٩٦٨ م.
- ٣٥ - مجلة المنهل
 عدد متخصص
 السعودية.
 ط منشورات المكتبة العصرية، بيروت.
- ٣٦ - محمود
 الدكتور عبد الحلیم
 ط منشورات المكتبة العصرية، بيروت.
- ٣٧ - مجمع اللغة العربية
 القاهرة
 ط القاهرة.
- ٣٨ - الندوى
 الشيخ أبو الحسن على
 ط دار العلم، الكويت ١٩٨٣ م.
- ٣٩ - النقرة
 الدكتور التهامی
 ط مكتب التربية لدول
 القرآن والمستشرقون (مناهج المستشرقين) ط مكتب التربية لدول
 الخليج العربي ١٩٨٥ م.

	الموضوع
٥	١ - المقدمة.....
٩	٢ - الاستشراق
٤٣	٣ - مواجهة الفكر الاستشراقى.....
٧٧	٤ - المصادر والمراجع.....
٨١	٥ - الفهرس

هذا الكتاب

فإن الاستشراق أصبح علما له مدارسه المتعددة، ومناهجه المختلفة، وكلها تسعى إلى محاولة اختراق الفكر الإسلامي والتأثير عليه، وسلخ المسلمين عن شخصيتهم الإسلامية.

ولقد قام الاستشراق وتربى في أحضان الصليبية والصهيونية، وفي خدمة الأهداف الاستعمارية للإجهاز على مقومات الأمة الإسلامية حتى لا تقوم لها قائمة.

وإنه عن الكياسة التي وصف النبي ﷺ المؤمنين أن تدرك الأخطاء التي تحدث بالمجتمعات الإسلامية، وأن نواجهها ببناء شخصيتنا الإسلامية والعمل على توحيد صفوف الأمة بمواجهة الفكر الاستشراقي بعمل مدروس قائم على منهجية دقيقة تضع علماء الأمة الإسلامية أمام مسئولياتهم.

والدار المصرية اللبنانية أداء لواجبها المقدس في خدمة الإسلام والمسلمين تقدم هذا الكتاب إلى قرائها الكرام راجية عموم نفعه، وتبنيه الغافلين، وإيقاظ الهمم.

والله من وراء القصد، وهو نعم المولى ونعم النصير.

الناشر

37.29

الس
١

الدار المصرية اللبنانية

١٦ عبد الخالق ثروت - القاهرة

تليفون : ٣٩٢٦٧٤٣ - ٣٩٢٣٥٢٥